مفهوم العقيدة الإسلامية

أولاً: تعريف العقيدة في الاصطلاح العام: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضِّ النظر عن صحته من عدمها.

ثانياً: العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله ـ تعالى ـ في الحكم، والأمر، والقدر، والشَّرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

ثالثاً: موضوعات علم العقيدة: العقيدة ـ بمفهوم أهل السنة والجماعة ـ اسم عَلَم على العِلْم الذي يُدرس ويَتَناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة، كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

رابعاً: أسماء علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة:

١ ـ العقيدة والاعتقاد، والعقائد.

٢ـ التوحيد. ٣ـ السُنة. ٤ـ الشريعة.

٥ـ الإيمان. ٦ـ أصول الدين، أو أصول الديانة.

خامساً: أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهُدى المتَّبِعون لهم بإحسان، وهم الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.

وسُموا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ﷺ واجتماعهم على الأخذ بها ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد.

سادساً: أسماء أخرى لأهل السنة والجماعة: لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى يعرفون بها، منها:

١ـ أهل السنة والجماعة. ٢ـ أهل السنة.

٣ـ الجماعة. ٤ـ السلف الصالح.

٥ـ أهل الأثر. ٦ـ أهل الحديث.

٧ـ الفرقة الناجية. ٨ـ الطائفة المنصورة.

٩ـ أهل الاتباع.

خصائص العقيدة الإسلامية
عقيدة أهل السنة والجماعة

للعقيدة الإسلامية _**عقيدة أهل السنة والجماعة**_ خصائص عديدة، لا توجد في أي عقيدة أخرى، ولا غرو في ذلك؛ إذ إن تلك العقيدة تُستَمد من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن تلك الخصائص مايلي:

١_ سلامة مصدر التلقي: وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فهي مستقاة من ذلك النبع الصافي، بعيداً عن كدر الأهواء والشبهات.

وهذه الخصيصة لا توجد في شتى المذاهب والملل والنحل غير العقيدة الإسلامية _عقيدة أهل السنة والجماعة_.

٢_ أنها تقوم على التسليم لله _تعالى_ ولرسوله ﷺ: وذلك لأنها غيب، والغيب يقوم على التسليم.

فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، كما في قوله _تعالى_: [ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ] (البقرة:٢_٣).

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقَوَّته محدودة _ فكذلك عقله؛ فَتَعَيَّن الإيمان بالغيب والتسليم لله _عز وجل_.

٣ـ موافقتها للفِطرة القويمة، والعقل السليم: فعقيدة أهل السنة والجماعة ملائمة للفطرة السليمة، موافقة للعقل الصريح، الخالي من الشهوات والشبهات.

٤ـ اتصال سندها بالرسول ﷺ والسلف الصالح قولاً، وعملاً، واعتقاداً: وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها؛ فلا يوجد ـ بحمد الله ـ أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ليس له أصل أو مستند من الكتاب والسنة، أو عن السلف الصالح، بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة.

٥ـ الوضوح والسهولة والبيان: فهي عقيدة سهلة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيها، ولا غموض، ولا تعقيد؛ فألفاظها واضحة، ومعانيها بينة، يفهمها العالم والعامي، والصغير والكبير؛ فهي تستمد من الكتاب والسنة، وأدلة الكتاب والسنة كالغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الرضيع، والصبي، والقوي، والضعيف.

٦ـ السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس: فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقاً، كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟.

فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس.

بل يشبه بعضُه بعضاً، ويصدِّق بعضُه بعضاً [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً](النساء: ٨٢).

٧ـ أنها قد تأتي بالمحار، ولكن لا تأتي بالمحال: ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول، وما قد تحار فيه الأفهام، كسائر أمور الغيب؛ من عذاب القبر ونعيمه، والصراط، والحوض، والجنة والنار، وكيفية صفات الله ـ عز وجل ـ.

فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور، بل تعجز عن إدراك كيفياتها،

ولكنها لا تحيلها، بل تسلِّم لذلك، وتنقاد، وتذعن؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل، الذي لا ينطق عن الهوى.

٨_ العموم والشمول والصلاح: فهي عامة، شاملة، صالحة لكل زمان ومكان، وحال، وأمة، بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

٩_ الثبات والاستقرار والخلود: فهي عقيدة ثابتة، مستقرة خالدة، فلقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام؛ من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم.

فما إن يعتقد هؤلاء أن عظمها قَدْ وَهَن، وأن جذوتها قد خبت، ونارها قد انطفأت حتى تعود جذعة ناصعة نقيـــة؛ فهي ثابتة إلى قيام الساعة، محفوظة بحفظ الله _تعالى_ تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل؛ ورعيلاً بعد رعيل، لم يتطرق إليها التحريف، أو الزيادة، أو النقصان، أو التبديل

كيف لا، والله _عز وجل_ هو الذي تكفل بحفظها، وبقائها، و لم يكل ذلك إلى أحد من خلقه.

قال _تعالى_: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (الحجر:٩).

١٠_ أنها سبب للنصر والظهور والتمكين: فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة، فهم الظاهرون، وهم الناجون، وهم المنصورون كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» أخرجه مسلم.

فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله، ومن تركها خذله الله.

وقد عَلِم ذلك كلٌّ من قرأ التاريخ، فمتى حاد المسلمون عن دينهم _ حاق

بهم ما حاق، كما حدث لهم في الأندلس وغيرها.

١١ـ أنها ترفع قدر أهلها: فمن اعتقدها، وزاد علماً بها، وعملاً بمقتضاها، ودعوة للناس إليها ـ أعلا الله قدره، ورفع له ذكره، ونشر بين الناس فضله، فرداً كان أو جماعة؛ ذلك أن العقيدة الصحيحة أفضلُ ما اكتسبته القلوب، وخير ما أدركته العقول؛ فهي تثمر المعارف النافعة، والأخلاق العالية، والبركات المتنوعة.

١٢ـ السلامة والنجاة: فالسنة سفينة النجاة، فمن تمسك بها سلم ونجا، ومن تركها غرق وهلك، وكان السلف يسمون السنة سفينة نوح ـعليه السلامـ.

١٣ـ أنها عقيدة الألفة والاجتماع: فما اتحد المسلمون، وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصار والأمصار ـ إلا بتمسكهم بعقيدتهم، وأخذهم بها، وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها.

١٤ـ التميز: فهي عقيدة متميزة لا تشتبه بها العقائد الأخرى، ولا الأهواء المتفرقة.

١٥ـ أنها تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياع: فالمنهج واحد، والمبدأ واضح ثابت لا يتغير، فيسلم معتنقها من اتباع الهوى، ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء، والمحبة والبغضاء، بل تعطيه معياراً دقيقاً لا يخطىء أبداً، فيسلم من التشتت والتشرد والضياع، فيعرف من يوالي، ويعرف من يعادي، ويعرف ما له وما عليه.

١٦ـ أنها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكرية: فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه ـعز وجلـ فيرضى به

رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره لحكمه، ويستنير فكره بمعرفته.

١٧ـ سلامة القصد والعمل: بحيث يَسْلَمُ معتنقها من الانحراف في عبادة الله ـعز وجلـ فلا يعبد غير الله، ولا يرجو سواه.

١٨ـ تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة: فهي تأمر أهلها بكل خير، وتنهاهم عن كل شر، فتأمرهم بالعدل والاعتدال، وتنهاهم عن الظلم والانحراف.

١٩ـ تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور.

٢٠ـ تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنة: لأنه يعلم أن الكتاب والسنة حق وصواب، وهدى ورحمة؛ فينبعث بذلك إلى تعظيمهما، والأخذ بهما.

٢١ـ تَكْفُل لمعتنقيها الحياة الكريمة: ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة؛ ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة دون من سواه، وذلكـبلا شكـسبب الأمن والخير والسعادة في الدارين؛ فالأمن قرين الإيمان، وإذا فقد الإيمان فقد الأمن، قال ـتعالىـ: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢٨)](الأنعام).

فأهل التقوى والإيمان لهم الأمن التام، والاهتداء التام في العاجل والآجل، وأهل الشرك والمعصية هم أهل الخوف وأولى الناس به، فهم مهددون بالعقوبات والنقمات في سائر الأوقات.

٢٢ـ تعترف بالعقل وتحدد مجاله: فالعقيدة الإسلامية تحترم العقـــل الســـوي، وترفع من شأنه، ولا تحجر عليه، ولا تنكر نشاطه، والإسلام لا يرضى

من المسلم أن يطفىء نور عقله، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها.

٢٤ـ تعترف بالعواطف الإنسانية، وتوجهها الوجهة الصحيحة: فالعواطف أمر غريزي، ولا يتجرد منه أي إنسان سوي، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة جامدة، بل هي عقيدة حيَّة، تعترف بالعواطف الإنسانية، وتقدرها حق قدرها، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها، بل تُقوِّمها، وتسمو بها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، التي تجعل منها أداة خير وتعمير بدلاً من أن تكون معولَ هدمٍ وتدمير.

٢٥ـ العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات: سواء مشكلات الفرقة والشتات، أو مشكلات السياسة والاقتصاد، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر، أو غير ذلك؛ فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة، والأهواء المتفرقة، وأغنى بها المسلمين بعد العَيْلَة، وعلّمهم بها بعد الجهل، وبصّرهم بعد العمى، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزاتٍ تمتاز بها عن غيرها من العقائد ــ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما ناله أسلافه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ــ الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة: فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢ــ التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف: فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ــ الاتباع وترك الابتداع: فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

٤ــ الاهتمام بالكتاب والسنة: فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم

بالكتاب والسنة.

٥ـ احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولو كان آحاداً.

٦ـ ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ: أما غير الرسول ﷺ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا الرسول ﷺ.

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ـ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧ـ هم أعلم الناس بالرسول ﷺ: فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله ﷺ.

٨ـ الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨).

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩ــ تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح وهم أهل القرون المفضَّلة، ومن تبعهم بإحسان، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠ــ الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١ــ الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢ــ الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فهم لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَعُون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣ــ الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع

الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ــ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء؛ كما هو حـــال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ــرضي الله عنهمــ.

وكحال ابن المبارك رحمه الله فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤ــ الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال الله ــسبحانه وتعالىــ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ](الأنبياء: ٩٠).

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ](السجدة: ١٦).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١ــ نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

١٥ــ الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال، وإن كان الأصل في معاملتهم لزوم الرفق، والأخذ باللين.

١٦ــ الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

[نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] (النور:٣٥).

١٧ــ العدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله ــعز وجلــ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ](النساء:١٣٥).

وقوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] (الأنعام: ١٥٢).

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨ــ الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم ــ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، أوتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه

تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المخالف لهم، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩ـ الوسطية: قال ـ تعالى ـ: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً](البقرة:١٤٣).

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠ـ عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـ بحمد الله ـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وحقيقته ومسائله واحد، وقولهم في

القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١ـ ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري رحمه الله بسنده عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «إياكم والخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ـعز وجلـ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٢، ١٠٣).

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم، ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغْرُون بعضهم ببعض.

٢٣ـ سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف

صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤ـ حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥ـ هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦ـ هم الغرباء: الذين يُصْلحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧ـ هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨ـ وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩ـ لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل

ولا تتغير.

٣٠_ سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف ولو كان منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١_ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله_عز وجل_زكاهم وكذلك رسوله ﷺ.

٣٢_ سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة _ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى من أهل الكلام وغيرهم ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيَّروا، وتعبوا وأتعبوا.

٣٣_ يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم: منطلقين بذلك من قول النبي ﷺ:«**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم».**

فهم ينصحون لله إيماناً به، وقياماً بحقه، وعبودية له ظاهراً وباطناً.

وينصحون لكتاب الله بالإقبال عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً لألفاظه ومعانيه، وعملا به، ودعوة للناس إليه.

وينصحون للرسول ﷺ بمحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والإقتداء به، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذب عنه، ونصرة دينه، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر.

وينصحون لأئمة المسلمين ـ من الإمام الأعظم إلى من دونه ممن لهم ولاية خاصة أو عامة ـ باعتقاد ولايتهم، وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وببذل المستطاع لإرشادهم، وتنبيههم على ما فيه صلاحهم وصلاح الأمة جمعاء، وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم وعلى الأمة.

٣٤ـ التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٥ـ حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال ـ تعالى ـ: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] (فصلت: ٣٠).

٣٦ـ مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ـ بل هو أساسها وأصلها ـ صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه أحد، ولا

يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون:«أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ـرحمهم الله ورضي عنهمـ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ـمعاشر المسلمينـ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ـنحن أهل السنةـ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ـجل وعلاـ ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج ـ قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مصادر الدين هي: الكتاب والسنة (الوحي فحسب)[1]

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿ .. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** .. ﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[2].

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحْدث شيئاً زاعماً أنه من الدين لأن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3] فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

---

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص٨٨، ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للمؤلف كذلك ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤).

(٣) متفق عليه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن: مصادر تلقي العقيدة الحق، هي: الكتاب، والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١ ـ إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فَهْمَ السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأنقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢ ـ منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك كان هو الأعلم والأسلم والأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار.

٣ ـ العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي؛ لأنها غيب لا تحيط بها مدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.

٤ ـ العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلا تدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥ ـ كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

٦ ـ كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: (منَ الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغُ، وعلينا التسليم)[١].

٧ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة ـ السلف الصالح ـ كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: (عليك بآثار مَنْ سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[٢].



(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)، والفتح جـ ١٣، صـ٥٠٨.

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٧٧، ٢٠٧٨) ٢ / ١٠٧١ وقال المحقق إسناده صحيح، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ـ١٦٠)/ ٤٩٠.

مصادر التلقي عند أهل الأهواء

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١ ـ العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ، وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلقة.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس.

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.



سلامة منهج الاستدلال عند السلف أهل السنة وفساد مناهج المخالفين في ذلك

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على القواعد التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، و العموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات في الدين، ولايجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية.

١١ ـ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ـ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ـ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٧]، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبيِّن، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ ـ يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤ ـ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥ ـ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانوبنهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ ـ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ **ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [**آل عمران**: ٧].

٧ ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة

والشريعة وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠ ـ يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

١١ ـ ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.



المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالله، وثمراته، وأدلته

أولاً: مفهوم الإيمان بالله وما يتضمنه

للإيمان بالله وتوحيده عدة تعريفات، تتفق في المعنى وربما اختلفت ألفاظها، فمن تلك التعريفات مايلي:

١_ هو إفراد الله بما يستحق.

٢_ هو إفراد الله بحقوقه.

٣_ هو التصديق الجازم بوجود الله _تعالى_ وتوحيده بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته[١].

٤_ هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه _سبحانه_ متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، متره عن كل نقص وعيب.

من خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة:

١_ الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجوداً كاملاً لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

٢_ الإيمان بربوبيته: وذلك باعتقاد انفراده _عز وجل_ بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية.

١_ انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٠.

٣ـ **الإيمان بأسمائه وصفاته:** وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

٤ـ **الإيمان بألوهيته:** وذلك بإفراده ـعز وجلـ بأفعال العباد؛ فلا يُصْرَفُ أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة لغيره ـتبارك وتعالىـ.

ثانياً: ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائد جمة، وفضائل كثيرة، منها:

١ـ **الأمن التام والاهتداء التام:** فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة قال ـعز وجلـ: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: ٨٢).

٢ـ **الإيمان بالله طاعة لله ـعز وجلـ:** فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال ـتعالىـ: [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ] (البقرة: ١٣٦).

٣ـ **حصول الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة:** قال ـعز وجلـ: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً] (النور: ٥٥).

٤ـ **دخول الجنان والنجاة من النيران:** قال ـتعالىـ: [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] (محمد: ١٢).

٥ـ **الحياة الطيبة:** فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب إنما هي ثمرة من

ثمرات الإيمان بالله ـعز وجلـ [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً] (النحل: ٩٧).

قال ابن كثير رحمه الله في شرح هذه الآية: «وهذا وعد من الله ـتعالىـ لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتابع لكتاب الله ـتعالىـ وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله ـ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت»[1].

٦ـ حلول الخيرات ونزول البركات: قال الله ـتعالىـ: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (الأعراف: ٩٦).

٧ـ الهداية لكل خير: قال الله ـتعالىـ: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ] (التغابن:١١).

وقال: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ] (يونس:٩).

٨ـ زيادة الإيمان والثبات عليه: فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على الإيمان سبب لزيادته قال ـتعالىـ: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

١ـ تفسير ابن كثير ٥٦٦/٢.

وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] (محمد: ١٧).

٩ـ الفوز بولاية الله ـعز وجلـ: وأكرم بها من ولاية، قال ـتعالىـ: [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١)] (محمد).

١٠ـ السلامة من الخسارة: قال ـتعالىـ: [وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)] (العصر).

١١ـ الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله: قال ـعز وجلـ: [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا] (الحج: ٣٨).

١٢ـ تكفير السيئات: قال ـتعالىـ: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ] (محمد:٢).

١٣ـ الرفعة والعلو: قال ـتعالىـ: [يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ] (المجادلة: ١١).

١٤ـ إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

١٥ـ قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] (الطلاق:٣).

١٦ـ الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله.

وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليةً؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أمناً والعكس.

١٧_ حسن الخلق: فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أثَّر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعْده عن الإيمان.

١٨_ الإعانة على تحمل المشاق: فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق، والقيام بالطاعات، وترك الفواحش والمنكرات.

١٩_ الذكر الحسن: فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.

٢٠_ عزة النفس: فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذللاً للمخلوقين.

٢١_ أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

هذا شيء من ثمرات الإيمان، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان، ومترتب عليه، والهلاك والنقصان إنما يكون بفقد الإيمان، أو نقصه[١].

ثالثاً: الأدلة على وحدانية الله _سبحانه وتعالى_

الأدلة على وحدانية الله كثيرة جداً، ويكفي منها شهادته _عز وجل_ لنفسه حيث قال: [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)] (آل عمران).

وصدق من قال:

١_ انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ١٣٠_١٣٤.

المبحث الأول: مفهوم الربوبية

أولاً: معنى كلمة الرب

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ:

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم».

وقال: «ولا يطلق غير مضاف إلا على الله _عز وجل_ وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا».

وقال:«وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله _تعالى_ وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر»[(1)].

وقال: «ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال» [(2)].

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال _تعالى_:[أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ] (الأعراف: ٥٤).

وقال: [ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ](فاطر:١٣).

قال ابن منظور: «الرب: هو الله _عز وجل_ هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك

١_ لسان العرب ٣٩٩/١_٤٠٠.
٢_ لسان العرب ٣٣٩/١.

والأملاك»[١].

ثانياً: تعريف توحيد الربوبية

هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته[٢].

وهناك تعريف آخر مختصر وهو: توحيد الله بأفعاله.

ثالثاً: أسماء توحيد الربوبية

لهذا النوع من التوحيد أسماء أخرى منها:

١_ توحيد الربوبية _كما سبق_. ٢_ التوحيد العلمي. ٣_ التوحيد الخبري.

٤_ توحيد المعرفة والإثبات. ٥_ التوحيد الاعتقادي.

رابعاً: أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١_ الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛

١_ لسان العرب ٣٩٩/١.

٢_ انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص٣٣_٣٤، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٥، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٦.

وهي خَلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

٢ــ الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة[١].

خامساً: توحيد الربوبية ليس هو الغايةَ في التوحيد

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، ولكن هذا النوع من أنواع التوحيد ليس هو الغايةَ التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، وليس الغايةَ التي من جاء بها فقد جاء بالتوحيد وكماله؛ ذلك أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها وغايتها، ولم يقتصد على مجرد الإقرار به كما هو غاية الطريقة الكلامية[٢].

يُضاف إلى ذلك أن المشركين كانوا مقرين به، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية.

ثم إن توحيد الربوبية مركوز في الفطر كلها، فلو كان هو الغاية لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

١ــ انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ٢٨٨/١.
٢ــ انظر مجموع الفتاوى ١٢/٢.

المبحث الثاني: أدلة توحيد الربوبية، وآثاره

أولاً: أدلة توحيد الربوبية

أدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين؛ فقد جعل الله لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها _ لَدَلَّتْهُمْ إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، فمن ذلك قوله _تعالى_:[الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ](الفاتحة:٢)، وقوله [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ](الذاريات:٥٨)، وقوله:[إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)] (يس)، وقوله: [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] (البقرة:١٦٤)، وقوله _تعالى_:[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] (الروم:٤٠).

ومن الدلالات على ربوبية الله على خلقه ما يلي:

١_ دلالة الفطرة: ذلك أن الله _سبحانه_ فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«ولما كان الإقرار بالصانع فطريّاً كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[١] الحديث _ فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يُعْرَفُ ويُعْبَدُ»[٢].

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية.

ومما يدل على ذلك ما هو مبثوث في غضون أشعارهم، ومن ذلك قول عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها[٣]

وقول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتم الله يعلمِ

يُؤخر فَيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فينقمِ[٤]

ولقد بين الله _سبحانه وتعالى_ ذلك في القرآن كما في قوله: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ] (العنكبوت: ٦١).

٢_ دلالة الأنفس: فالنفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً.

١_ أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).
٢_ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٢.
٣_ ديوان عنترة ص ٧٤.
٤_ ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٤.

قال ـ تعالى ـ: [وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] (التغابن:٣)، وقال: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)](الشمس: ٧).

٣ـ دلالة الآفاق: كما قال ـ سبحانه ـ: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (فصلت:٥٣) فلو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب ـ لأدرك أن هناك خالقاً لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم[١].

ثانياً: آثار توحيد الربوبية وثمراته

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له ربّاً خالقاً هو الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ في السموات والأرض ـ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني[٢].

ولهذا قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً**»[٣].

١ـ انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ٧١ـ٧٢ للشيخ عبد الرزاق العباد، والإيمان بالله للكاتب ص١٤ـ٥٩.

٢ـ انظر منهج جديد لدراسة التوحيد للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص٨٢.

٣ـ رواه مسلم (٣٤)، وأحمد ٢٠٨/١.

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع _ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد.

ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله _ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله _عز وجل_.

وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

وبالجملة فإن الكلام في مقتضيات الربوبية، وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة.

المبحث الثالث: الضلال في توحيد الربوبية

أولاً: مضادة توحيد الربوبية

يضاد توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب _عز وجل_.

ويضاده _أيضاً_ اعتقاد متصرف مع الله _عز وجل_ في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك[1].

وكما يضاده _أيضاً_ اعتقاد مشرع مع الله _عز وجل_ لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي.

ثانياً: إنكار الربوبية

لم ينكرْ توحيدَ الربوبية أحدٌ من البشر إلا طائفة من الشذاذ المكابرين المعاندين المنكرين لما هو متقرر في فطرهم؛ فإنكارهم إنما كان بألسنتهم مع اعترافهم بذلك في قرارة أنفسهم.

ومن أشهر من عرف بذلك فرعون؛ الذي قال لقومه _كما أخبر الله عنه_:[أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى](النازعات:٢٤) وقال: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] (القصص: ٣٨).

وكلامه هذا مجرد دعوى لم يَقُمْ عليها بينةٌ، ولا دليلٌ، بل كان هو نفسُه غير

١_ انظر أعلام السنة المنشورة ص ٥٦.

مؤمن بما يقول.

قال ـتعالى ـ على لسان موسى ـعليه السلام ـ: [لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً] (الإسراء:١٠٢).

وأخبر ـعز وجل ـ وهو العليم بذات الصدور ـ أن كلام فرعون ودعواه لم يكن عن عقيدة ويقين، وإنما هو مكابرة وعناد، قال ـتعالى ـ:[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً] (النمل: ١٤).

وممن أنكر ذلك ـأيضاً ـ الشيوعيون، فلقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده ـسبحانه وتعالى ـ بناءاً على عقيدتهم الخبيثة الفاجرة التي تقوم على الكفر بالغيب، والإيمان بالمادة وحدها.

وهم في الحقيقة لم يزيدوا على أن سموا الله بغير اسمه، بحيث ألَّهوا الطبيعة، ونعتوها بنعوت الكمال التي لا تليق بأحد إلا الله ـعز وجل ـ فقالوا: الطبيعة حكيمة، الطبيعة تخلق، إلى غير ذلك.

وكلامهم هذا باطل متهافت، بل إن أصحاب هذا المبدأ انشقوا على أنفسهم، ولعن بعضُهم بعضاً، وكَفَرَ بعضُهم ببعض[١].

ثالثاً: الفرق التي أشركت بالربوبية[٢]

هناك أقوامٌ أشركوا بالربوبية، وفِرَقٌ أشركت به، ومن هؤلاء:

---

١ ـ انظر الشيوعية للكاتب.

٢ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص٢٤ ـ ٢٦.

١_ **المجوس**: «الأصلية» قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

٢_ **الثنوية**: «أصحاب الاثنين الأزليين»: الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣_ **المانوية**: «أصحاب ماني بن فاتك»: قالوا: إن العَالَمَ مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

٤_ **النصارى**: «القائلون بالتثليث»: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم.

أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا قال طائفة من العقلاء:إن عامة مقالات الناس يمكن تصورُها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحدَ عشرَ قولاً.

وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال

الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض رده عليهم:«أما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمةً أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلٌّ منهم بغير جواب الآخر»[٢].

بل قيل فيهم:«لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقده في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً _ لما استطاع ذلك»[٣].

هذا وقد بيَّن الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

٥_ القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال _تعالى_:[وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] (الصافات: ٩٦).

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه _عز وجل_[٤].

٦_ الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله

١_ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١٥٥/٢.
٢_ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص٣٢١.
٣_ ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص١٣.
٤_ انظر مجموع الفتاوى٢٥٨/٨، والإيمان بالقضاء والقدر للكاتب ص١٧٣_١٧٤.

يحدث ما يقدره في الأرض.

٧_ عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٨_ غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيءٍ[١].

٩_ الشيعة: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده[٢].

١٠_ النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله _عز وجل_ مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويُسَمَّون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمَّون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل[٣].

١_ انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، ص٣٥_٣٨ و١٣٣.

٢_ انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، تحقيق: محمد مال الله، ص٦٩، وانظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د.ناصر القفاري، ج٢٩٠/١، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، ص٦٦.

٣_ انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د.محمد بن أحمد الخطيب، ص٣٤١، ودراسات في الفرق لصابر طعمية، ص٤٢، والنصيرية، د.سهير الفيل،ص٩٣_١٠٣، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، ورسالة النصيرية في كتاب رسائل في الأديان والفرق والمذاهب للكاتب.

١١ـ الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافٍ لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: «إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»[١].

١٢ـ من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون ـرجماً بالغيبـ إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا ـ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣ـ القانونيون: الذين يَصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم.

فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه [٢].

١ـ انظر عقيدة الدروز، عرض ونقض د.محمد بن أحمد الخطيب، ص١١٧، وانظر الحركات الباطنية، ص٢٣٣ـ٢٣٨.

٢ـ انظر رسالة تحكيم القوانين لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله .

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات، وأهميته، وثمراته

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات

١ـ هو: الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه، أو وَصَفَه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به ـسبحانه وتعالىـ[١].

٢ـ أو هو: اعتقاد انفراد الله ـعز وجلـ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة[٢].

٣ـ وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله **بتعريف جامع حيث قال**: «توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب ـجل جلالهـ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق

١ـ انظر أعلام السنة المنشورة، للشيخ حافظ الحكمي، ص٥٦.

٢ـ انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز السلمان، ص٤١ـ٤٢.

بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله»[١].

ثانياً: أهمية توحيد الأسماء والصفات

للعلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته مايلي:

١ـ أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله ـعز وجلـ إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته.

٢ـ أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح عبادة لله ـعز وجلـ فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة.

٣ـ الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق سلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.

٤ـ الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله، قال ـتعالىـ:[وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأعراف: ١٨٠).

٥ـ أن هذا العلم أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق؛ فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

٦ـ أن أعظم آية في القرآن الكريم هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية؛ لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

٧ـ أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها أخلصت في وصف الله ـعز وجلـ.

١ـ القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/١٠ مجموعة ابن سعدي.

٨_ أن الإيمان بأسماء الله وصفاته يثمر ثمرات عظيمة، وعبوديات ٍ متنوعةً، ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

ثالثاً: ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات

العلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها كما مر؛ لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة.

ولقد اعتنى علماء الإسلام قديماً وحديثاً في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي:

١_ العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله:

فالله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم؛ فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خُلق له، وقبيح بعبد لم تزل نِعَمُ الله عليه متواترة أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفته.

وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفةِ له، المصرِّحةِ بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد، وغيرها.

٢_ أن معرفة الله تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له: وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.

٣_ تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد: فالشريعة

المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريقُ الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلمُ بأسماء الله وصفاته يعصم بإذن الله من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها أثّر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف.

فمثلاً أسماء العظمة تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله، وشوقاً إليه، ورغبة بما عنده، وحمداً وشكراً له.

وأسماء العزة، والحكمة، والعلم، والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله، وخشوعاً، وانكساراً بين يديه _عز وجل_.

وأسماء العلم، والخُبْرَة، والإحاطة، والمراقبة، والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات وفي الجلوات والخلوات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى، واللطف، تملأ القلب افتقاراً، واضطراراً، والتفاتاً إليه في كل وقت وحال.

٤_ الانزجار عن المعاصي: ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي، فتذكر أن الله يبصرها، فتستحضر هذا المقام، وتذكر وقوفها بين يديه، فتنزجر وترعوي، وتجانب المعصية.

٥_ السلامة من الاعتراض والحسد: ذلك أن النفوس طُلَعَة؛ تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين، وربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو الحسد؛ فعندما

تتذكر أن الله من أسمائه (الحكيم) والحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه عندئذٍ تكف عن حسدها، وتنقدع عن شهواتها، وتنفطم عن غيّها، وتنأى عن اعتراضها.

٦ـ انفتاح أبواب الأمل: ذلك أن العبد يقع في المعصية، فتضيق عليه الأرض بما رَحُبت، ويأتيه الشيطان؛ ليجعله يسيء ظنه بربه، فيتذكر الإنسان أن من أسماء الله (الرحيم، التواب، الغفور) فلا يتمادى في خطيئته، بل ينزع عنها، ويتوب إلى ربه، ويستغفره فيجده غفوراً تواباً رحيماً.

ثم إن العبد تتناوشه المصائب، والمكاره، فيلجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتنفتح له أبواب الأمل.

ويقارع الأشرار، وأعداء دين الله من الكفار والفجار، فيجدُّون في عداوته، وأذيته، ومنع الرزق عنه، وقصم عمره، فيعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده، وذلك يُثمر له الشجاعة، وعبودية التوكل على الله ظاهراً وباطناً.

وتصيبه الأمراض، وربما استعصت وعزَّ علاجها، وربما استبد به الألم، ودب اليأس إلى قلبه، وذهب به كل مذهب، حينئذٍ يتذكر أن الله هو الشافي، فيرفع يديه إليه، ويسأله الشفاء، فتنفتح له أبواب الأمل، وربما شفاه الله من مرضه، أو صرف عنه ما هو أعظم، أو عوضه عن ذلك صبراً وثباتاً ويقيناً هو عند العبد أفضل من الشفاء.

٧ـ أن العلم به ـتعالى ـ أصل الأشياء كلها: حتى إن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما علم من صفاته وأفعاله على ما يفعله ويشرعه من الأحكام؛ لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته؛ فأفعاله دائرة بين العدل، والفضل، والرحمة، والحكمة.

ومن فُتِحَ له هذا الباب باب الأسماء والصفات فُتِحَ له باب التوحيد الخالص، الذي لا يحصل إلا للكُمّل من الموحدين.

٨ـ زيادة الإيمان: فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والإخبات، والتقديس، والتعظيم للباري ـجل وعلاـ [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ] (محمد:١٧).

٩ـ أن من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، قال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»[١][٢].

هذا وسيأتي معنى إحصائها عند الحديث عن قواعد في الأسماء.

١ـ رواه البخاري، كتاب الدعوات (٦٤١٠)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء (٢٦٧٧).

٢ـ انظر كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن مندة تحقيق الشيخ د. علي الفقيهي، ١٨/٢ـ١٩ والتفسير القيم لابن القيم ص٢٤ـ٣٧، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ٩٠٩١/٢، والصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د. أحمد الغامدي ود.علي الفقيهي ٥٩/١ـ٦٢، وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٨٢ـ٨٥، والقول السديد لابن سعدي ص١٦١ـ١٦٣، والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر الأشقر ص١٨ـ٣٩، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للشيخ عبد الرزاق العباد، ص١٠٠ـ١٠١، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد الحمود.

المبحث الثاني: طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد.

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

١ـ في الإثبات: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

٢ـ في النفي: ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله ـتعالىـ إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله ـتعالىـ لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا كان متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها كما في قوله ـتعالىـ: [لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ] (البقرة: ٢٥٥)، وقوله: [وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] (ق: ٣٨).

فالله ـسبحانه وتعالىـ في آية الكرسي نفي عن نفسه (السنة والنوم) لكمال حياته وقيوميته، وفي الآية الثانية نفى نفسه (اللغوب) وهو التعب؛ لكمال قوته وقدرته، فالنفي هنا متضمن لصفة كمال.

أما النفي المحض فليس بكمال، وقد يكون سببه العجز أو الضعف كما في قول الشاعر النجاشي يهجو بني العجلان:

قُبَيِّلَــــــــةٌ لا يغــــــــدرون بذمـــــــة ولا يظلمــون النـــاس حبـــة خـــردل[1]

فنفى عنهم الظلم لا لمدحهم، ولكن لذمهم؛ لأنهم عاجزون عنه أصلاً.

وكذلك قول الآخر:

لكـــن قـــومي وإن كـــانوا ذوي عُـــدَدٍ ليسوا مـــن الشـــر في شـــيء وإن هانـــا

فهو لا يمدحهم لقلة شرهم، ولكنه يذمهم لعجزهم، ولهذا قال في البيت الذي بعده:

فليـــت لي بهـــم قومـــاً إذا ركبـــوا شـــنوا الإغـــارة فرســـانا وركبانـــا

وقد يكون سببُ النفيِ عدمَ القابليةِ؛ فلا يقتضي مدحاً، كما لو قلت: (الجدار لا يظلم).

ومن هنا يتبين لنا أن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا تضمن إثبات كمال الضد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم، والممتنع.

والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال»[2].

٣ــ التوقف: وذلك فيما لم يرد إثباته أو نفيه مما تنازع الناس فيه كالجسم مثلاً، والحيز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا

١ــ البيت للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب. انظر الحماسة الشجرية ٤٥٢ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص٣٣٠ــ٣٣١.

٢ــ مجموع الفتاوى ٣/٣٥.

ينفونه، لعدم ورود النص بذلك.

أما معناه فيستفصلون عنه، فإن أُريد به معنى باطل يُنَزَّهُ الله عنه رَدَّوه، وإن أُريد به معنىً حقٌّ لا يمتنع على الله قبلوه.

فلفظة «الجسم» مثلاً يتوقفون في اللفظ، أما المعنى فيستفصلون، فإن أُريد به الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم.

وإن أُريد بالجسم ما يقوم بنفسه، ويتصف به بما يليق به فهذا غير ممتنع على الله؛ فإنه سبحانه قائم بنفسه، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به.

وكذلك الحال بالنسبة «للجهة» يتوقفون في اللفظة، أما المعنى فإن أُريد بها جهة سُفْلٍ فإن الله منزّه عن ذلك، وإن أُريد جهة علو تُحيط به فهذا ممتنع أيضاً، وإن أُريد بها أن الله في جهة، أَيْ في جهةِ علوٍّ لا تُحيط به فهذا ثابت لله، وهكذا شأنهم في الألفاظ المجملة كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الألفاظ المجملة [1].

---

١ _ انظر التوحيد لابن مندة ١٠٢/٢ ومنهاج السنة لابن تيمية ١٠٥/٢ و١٠٩_١١١ و١٣٢ و١٩٢ و١٩٨ و٥٥٤_٥٥٦، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/٣_٤٠ و٢٦/٥ وانظر فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن عثيمين ١٢_١٥.

المبحث الثالث: الأدلة على صحة مذهب السلف

طريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة هي الطريقة الواجبة في أسماء الله وصفاته، وهي الأسلم والأعلم والأحكم، وليس هناك طريقة أخرى صحيحة في هذا الباب باب الأسماء والصفات إلا طريقتهم في إثباتها وإمرارها كما جاءت، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها[1]:

١ـ أن طريقة السلف دل عليها الكتاب والسنة: فمن أدلة الكتاب قوله ـتعالىـ: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأعراف:١٨٠).

وقوله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] (الشورى:١١).

وقوله: [وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] (الإسراء:٣٦).

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل؛ لأنهما من الإلحاد في أسمائه ـعز وجلـ.

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل.

والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي الكيفية، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه.

أما من السنة فالأدلة كثيرة منها قوله ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك**

١ـ انظر منهاج السنة ٥٦١/٢، وفتح ربِّ البرية، ص١٩ـ٢٤، والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة ص٢١٣ـ٢٢١، ودعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص١٩ـ٢٤.

شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء[1]».

٢ــ العقل: فالعقل يدل على صحة مذهب السلف، ووجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع على الله لا يُدْرَك إلا بالسمع ــالكتاب والسنةــ فوجب اتباع السمع في ذلك، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

٣ــ الفطرة: أما دلالة الفطرة على صحة مذهب السلف فلأنَّ النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال، متره عن صفات النقص؟

٤ــ مطابقتها للكتاب والسنة: فمن تتبع طريقة السلف بعلم وعدل وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً؛ ذلك لأن الله أنزل الكتاب؛ ليدّبر الناس آياته، ويعملوا بها إن كانت أحكاماً، ويصدقوا بها إن كانت أخباراً.

٥ــ أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم ورثة الأنبياء والمرسلين: فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية؛ فالقرآن نزل بِلُغَةِ الصحابة، وفي عصرهم، وهم أقرب الناس إلى معين النبوة الصافي، وهم أصفاهم قريحةً، وأقلهم تكلفاً، كيف وقد زكاهم الله في محكم تتريله، وأثنى عليهم، وعلى التابعين لهم بإحسان ــكما قال تعالىــ: [وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

١ــ رواه مسلم برقم (٢٧١٣).

تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ](التوبة: ١٠٠).

وقد هدد رب العزة الذين يتبعون غير سبيلهم بالعذاب الأليم فقال _عز وجل_: [وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً](النساء: ١١٥).

ولا ريب أن سبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان.

فإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن يكون خير الناس، وأفضل القرون قد قصروا في هذا الباب بزيادة أو نقصان.

٦_ أن صفوة أولياء الله _تعالى_ الذين لهم لسان صدق من سلف الأمة وخلفها هم على مذهب أهل السنة والجماعة، أهل الإثبات للأسماء والصفات، وهم أبعد الناس عن مذاهب أهل الإلحاد[١].

٧_ تناقض علماء الكلام وحيرتهم واضطرابهم: فهذا مما يدل على صحة مذهب السلف؛ فلو كان مذهب الخلف حقّاً لما تناقضوا، ولما اضطربوا، ولما تحيروا وحيروا.

٨_ رجوع كثير من أئمة الكلام إلى الحق وإلى مذهب السلف: فهناك من أرباب علم الكلام الذين بلغوا الغاية فيه رجعوا إلى مذهب السلف، وتبرؤا من علم الكلام، وأعلنوا توبتهم منه، فهذا الرازي أحد أكابر أئمة علم الكلام ينوح على نفسه، ويبكي عليها، ويقول:

١_ انظر درء تعارض العقل لابن تيمية ٧/٥.

نهايـــةُ إقـــدامِ العقـــولِ عقـــالُ ... وأكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال

وأرواحنـــا في وحشـــةٍ مـــن جســـومنا ... وغايـــة دنيانـــا أذى ووبـــال

ولم نَسْـــتَفِدْ مـــن بحثنـــا طـــول عمرنـــا ... ســـوى أن جمعنـــا فيـــه قيـــل وقـــالُ

وكم قـــد رأينـــا مـــن رجـــال ودولـــة ... فبـــادوا جميعـــاً مســـرعين وزالـــوا

وكم مـــن جبـــال قـــد عـــلا شـــرفاتِها ... رجـــال فزالـــوا والجبـــال جبـــال

وقال ابن الصلاح: «أخبرني القطب الطوغائي مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم اشتغل بعلم الكلام، وبكى».

وقد اعترف أكثر المتكلمين بالوقوع بالحيرة، والأمور المشكلة المتعارضة، فقال ابن أبي الحديد وهو من كبراء المعتزلة بعد عظيم توغله في علم الكلام:

فإذا الـــذي اســـتكثرت منـــه هـــو الـــ ... ـــجاني علـــى عظـــائم المحـــن

فظللـــت في تيـــه بـــلا عَلَـــم ... وغرقـــت في بحـــر بـــلا ســـفن

ومن الذين خاضوا في علم الكلام ورجعوا إلى منهج السلف أبو المعالي الجويني، والخسر وشاهي، وأبو حامد الغزالي[1].

ومن المتأخرين الذين خاضوا في علم الكلام، ولم يرجعوا منه بفائدة، بل وقعوا في الحيرة الإمام الشوكاني رحمه الله فإنه حدَّث عن نفسه فقال: «ها أنا أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه أمس؛ فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سمّوه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول الدين، وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورُمْت الرجوع بفائدة،

١_ انظر مجموع الفتاوى ٧٢/٤_٧٥، و١٠/٥_١١، ودرء تعارض العقل والنقل ١٥٩/١_١٦٢، وكتاب الصفدية لابن تيمية ٢٩٢/١_٢٩٥، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٨_٢١٠ والتحف في مذاهب السلف للشوكاني ص٣٤_٤٤، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص٥١١_٥١٤، والأسماء والصفات د. عمر الأشقر ص٢١٠_٢٢٢.

والعود بعائدة، فلم أظفر بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حبّبت إليّ مذهب السلف على أني كنت قبل ذلك عليه، ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة وبه شغفاً، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب:

وغايةُ ما حصّلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التَّبَصُّر

هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التحير

على أنني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بغير التبحر[1]

وبهذا يتبين لنا صحة مذهب السلف في باب الأسماء والصفات.

١_ التحف في مذاهب السلف ص٣٧_٣٨.

الفصل الثاني

قواعد في أسماء الله وصفاته

وتحته:

المبحث الأول: قواعد في أسماء الله _عز وجل_.

المبحث الثاني: قواعد في صفات الله _تعالى_.

المبحث الأول: قواعد في أسماء الله ــــ عز وجل ــــ [(١)]

القاعدة الأولى: **أسماء الله _تعالى_ كلها حسنى:**

أي بالغة في الحسن غايته، قال الله _تعالى_: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] (الأعراف: ١٨٠).

وذلك لأنها متضمنة لصفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً؛ ذلك أن الألفاظ إما أن تدل على معنى ناقص نقصاً مطلقاً؛ فهذه يتره الله عنها، وإما أن تدل على غاية الكمال؛ فهذه هي الدالة على أسماء الله وصفاته، وإما أن تدل على كمال لكنه يحتمل النقص فهذا لا يُسمّى الله به، لكن يُخبر به عنه، مثل: المتكلم، الشائي.

كذلك ما يدل على نقص من وجه وكمال من وجه لا يُسمّى الله به، لكن يُخبر به عن الله مثل: الماكر.

ومثال الأسماء الحسنى (الحي) وهو اسم من أسماء الله متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغيرها.

ومثال آخر (العليم) من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يُسبق

---

١ _ انظر مجموع الفتاوى ٧١/٦، وكتاب التوحيد لابن مندة ٢٧/٢، وبدائع الفوائد لابن القيم ١٥٩/١_١٧٠، وتوضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص١٣٢، والحق الواضح المبين لابن سعدي ص١٠٨، والقواعد المثلى للشخ محمد بن عثيمين ص٩_٢٦، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ٧٥/١_٧٧ وشرح كتاب التوحيد ص١٢_٢٢١ ودعوة التوحيد ص١٢_١٤، ومعارج القبول للحكمي ٧١/١.

بجهل، ولا يلحقه نسيان.

قال الله ـ تعالى ـ: [قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى] (طه:٥٢).

العلم الواسع بكل شيء جملة وتفصيلاً، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال العباد.

وقل مثل ذلك في السميع، والبصير، والرحمن، والعزيز، والحكيم وغيرها من الأسماء الحسنى.

القاعدة الثانية: **أسماء الله ـ تعالى ـ أعلام وأوصاف:**

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، **وأوصاف** باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول مترادفة؛ لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ـ عز وجل ـ.

وبالاعتبار الثاني متباينة؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص؛ فمثلاً (الحي، القدير، السميع، البصير، الرحيم، العزيز، الحكيم) كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ لكن معنى (الحي) غير معنى (العليم) ومعنى (العليم) غير معنى (القدير) وهكذا...

القاعدة الثالثة: **أسماء الله ـ تعالى ـ إن دلت على وصفٍ متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:**

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم لله ـ عز وجل ـ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها ـ أي الأسماء ـ.

مثال ذلك (السميع) فهو يتضمن إثبات (السميع) اسماً لله ـ تعالى ـ وإثبات (السمع) صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، والعلانية، كما قال ـ تعالى ـ: [وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] (المجادلة: ١).

وقل مثل ذلك في العليم والرحيم، وغيرها من الأسماء المتعدية.

وإن دلت على وصفٍ لازمٍ غير متعدٍ تضمن أمرين:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ـ عز وجل ـ.

مثل اسم (الحي) فهو يتضمن إثبات اسم (الحي) لله ـ عز وجل ـ وإثبات (الحياة) صفة له، ومثل ذلك اسم (العظيم والجليل).

القاعدة الرابعة: **دلالة أسماء الله ـ تعالى ـ على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.**

فمعنى دلالة المطابقة: تفسير الاسم بجميع مدلوله، أو دلالته على جميع معناه.

ومعنى دلالة التضمن: تفسير الاسم ببعض مدلوله، أو بجزء معناه.

ومعنى دلالة الالتزام: الاستدلال بالاسم على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها، أو على لازم خارج عنها.

مثال ذلك: (الخالق) يدل على ذات الله، وعلى صفة (الخلق) بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي (العلم والقدرة) بالالتزام.

وذلك لأن الخالق لا يمكن أن يخلق إلا وهو قادر، وكذلك لا يمكن أن يخلق

إلا وهو عالم[1].

القاعدة الخامسة: **أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:**

ومعنى ذلك أن نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنّة، فلا نسمّي الله _تعالى_ إلا بما سمَّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله ﷺ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله _تعالى_ من الأسماء.

١_ هذه الأنواع الثلاثة تسمى أنوع الدلالة اللفظية الوضعية.

وإليك بعض التفصيل في هذه الأنواع زيادة على ما مضى؛ لتتضح بصورة أجلى.

١_ الدلالة المطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له، وذلك مثل دلالة لفظ (البيت) على الجدار والسقف معاً.

ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم (العليم) على ذات الله وعلمه، أي دلالة الاسم على المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه.

وسميت مطابقية؛ لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة.

٢_ الدلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

مثل دلالة البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده.

وسميت تضمنية؛ لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل، أي في داخله.

ومن هذا النوع مثلاً دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال الجزء والكل، بل يقال على الصفة والموصوف.

٣_ الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له.

مثل دلالة اسم الله (القدير) على صفة الحياة، وعلى العلم وغيرهما من صفات الله _تعالى_.

يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

انظر المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي، والصفات الإلهية د.محمد أمان ص١٧٨_١٧٩.

وتسميتهُ _تعالى_ بما لم يسمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمَّى به نفسه جنايةٌ في حقه _تعالى_ فوجب سلوك الأدب، والوقوف مع النص.

القاعدة السادسة: **أسماء الله غير محصورة بعدد معين:**

لقولهﷺ في الحديث المشهور: «**أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(١).

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحداً حَصْرُه، ولا الإحاطة به.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله ﷺ: «**استأثرت به**»: «أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه»(٢).

وأما قوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»(٣) فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة «إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من **أحصاها** دخل الجنة».

قال ابن القيم رحمه الله في بيان مراتب إحصاء أسماء الله التي من أحصاها دخل الجنة:

«**المرتبة الأولى:** إحصاء ألفاظها وعددها.

١_ رواه أحمد ٣٩٤/١، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).
٢_ بدائع الفوائد ١٦٦/١.
٣_ سبق تخريجه.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال _تعالى_: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا](الأعراف: ١٨٠).

وهو مرتبتان، إحداها: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة»[١].

القاعدة السابعة: **أن من أسماء الله _تعالى_ ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره، ومنها ما لا يطلق إلا مقترناً بمُقابله:**

فغالب الأسماء يطلق مفرداً ومقترناً بغيره من الأسماء، كالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحليم.

فهذه الأسماء وما جرى مجراها يسوغ أن يدعى بها مفردة، ومقترنة بغيرها، فنقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم.

أو أن يفرد كل اسم على حِدَةٍ فنقول: يا حليم، أو يا غفور، أو يا عزيز وهكذا...

ومن الأسماء ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقروناً بمقابله، كالمانع، والضار، والمنتقم، والمذل.

فلا يسوغ أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي، والنافع والعَفُو والمعز؛ فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاءً ومنعاً، ونفعاً وضراً، وعفواً وانتقاماً، وعزًّا وذلاً.

١_ بدائع الفوائد ١٦٤/١.

وأما أن يُثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تُجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصلُ بعضٍ حروفِه عن بعض؛ فهي ــوإن تعددتــ جاريةٌ مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء مفردة، ولم تُطلق عليه إلا مقترنة؛ فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع، وأخبرت بذلك ــ لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها.

المبحث الثاني: قواعد في صفات الله ـــ تعالى ـــ [1]

القاعدة الأولى: **صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه:** كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك، وقد دل على هذا: السمعُ والعقلُ، والفطرة.

أما السمع فمنه قوله تعالى: [لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى](النحل: ٦٠).

والمثل الأعلى: الوصف الأعلى الكامل.

وأما العقل فوجهه: أن كل موجود حقيقةً لابد أن تكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، فتعين الأول.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفاتِ كمالٍ، ومُعْطي الكمالِ أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته.

وهل تحب، وتعظم، وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

ثم إن من الصفات ما هو كمال على الإطلاق كالصفات السابقة، فهذه ثابتة لله ـ تعالى ـ.

ومنها ما هو نقص على الإطلاق فهذه منفية عن الله، كالجهل، والعمى،

١ـ انظر بدائع الفوائد ١/١٥٩ـ١٧٠، القواعد المثلى ص٢٧ـ٣٨، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي في توضيح العقيدة ص١١٢ـ١٢٥، ودعوة التوحيد ١٤ـ١٩.

والصمم.

ومنها ما هو كمال من وجه ونقص من وجه، فهذه يوصف الله بها في حال كمالها، ويمتنع وصفه بها في حال نقصها، بحيث يوصف الله بها وصفاً مقيداً مثل المكر، والكيد والمخادعة.

القاعدة الثانية: **باب الصفات أوسع من باب الأسماء**: وذلك لأن كلَّ اسمٍ متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله، وأفعاله _عز وجل_ لا منتهى لها.

قال تعالى: [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (لقمان: ٢٧).

ومن أمثلة ذلك أن من صفاتِ اللهِ المجيءَ والأخذَ، والإتيان، والإمساك، والبطش، فيوصف الله بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا يسمى بها، فلا يقال: إن من أسمائه الجائيَ، والآتي، والباطش، والآخذ، والممسك، والنازل، والمريد، ونحو ذلك، وإن كنا نُخبر بذلك عنه، ونصفه به.

القاعدة الثالثة: **صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية: فالثبوتية**: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء، واليدين، والوجه، فيجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، وقد تقدم ذلك في الحديث عن طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

وأما السلبية أو المنفية: فهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ مثل الصمم، والنوم، وغير ذلك من صفات النقص، فيجب نفيها عن

الله ـ كما مر ـ.

القاعدة الرابعة: **الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر:** ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات السلبية؛ فالقاعدة في ذلك الإثباتُ المفصلُ، والنفيُ المجملُ؛ فالإثباتُ مقصودٌ لذاته، أما النفي فلم يذكر غالباً إلا على الأحوال التالية:

أ ـ بيان عموم كماله كما في قوله ـ تعالى ـ: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ](الشورى:١١) وقوله [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ] (الإخلاص: ٤).

ب ـ نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله: [أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً] (مريم: ٩١ ـ ٩٢).

ج ـ دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر كما في قوله: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ] (الدخان: ٣٨) وقوله: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] (ق:٣٨).

ثم إن النفي مع أنه مجمل بالنسبة للإثبات إلا أن فيه تفصيلاً وإجمالاً بالنسبة لنفسه.

فالإجمال في النفي أن يُنْفى عن الله ـ عز وجل ـ كلُّ ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، كما في قوله ـ تعالى ـ: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] (الشورى:١١).

وقوله: [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] (مريم:٦٥).

وقوله: [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ] (الصافات:١٨٠).

وأما التفصيل في النفي فهو أن يترهَ عن كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه، فَيُنَزهَ عن الولد، والصاحبة، والسِّنة، والنوم، وغير ذلك مما يتره الله عنه.

القاعدة الخامسة: **الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:**

أ ـ الذاتية: هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها، وهي التي لا تنفك عنه ـ سبحانه ـ كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والوجه، واليدين.

ب ـ الفعلية: وتسمى الصفات الاختيارية، وهي التي تتعلق بمشيئة الله، إن شاء فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة كالاستواء على العرش، والترول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين، كالكلام؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء.

وكل صفة تعلقت بمشيئته ـ تعالى ـ فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أنه ـ سبحانه ـ لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق لحكمته، كما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً] (الإنسان: ٣٠).

القاعدة السادسة: **الصفات الذاتية والفعلية تنقسم إلى قسمين: عقلية، وخبرية:**

أ ـ عقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي، والدليل

العقلي، والفطرة السليمة.

وهي أغلب صفات الله ـتعالىـ مثل صفة السمع، والبصر، والقوة، والقدرة، وغيرها.

ب ـ خبرية: وتسمى النقلية، والسمعية، وهي التي لا تعرف إلا عن طريق النص؛ فطريق معرفتها النص فقط، مع أن العقل السليم لا ينافيها، مثل صفة اليدين، والنزول إلى السماء الدنيا.

القاعدة السابعة: **صفات الله توقيفية:**

فلا نَصِفُ الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

أـ التصريح بالصفة: كالعزة، والقوة، والرحمة، كما في قوله ـتعالىـ: [فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً] (النساء:١٣٩) وقوله: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ](الذاريات:٥٨) وقوله: [وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ] (الأنعام:١٣٣).

ب ـ تضمن الاسم لها: كالعزيز والغفور، قال ـتعالىـ: [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ](الملك: ٢) فالعزيز متضمن لصفة العزة، والغفور متضمن لصفة المغفرة.

ج ـ **التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والمجيء قال الله ـتعالىـ:** [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] (طه:٥).

وقال: [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً] (الفجر:٢٢).

القاعدة الثامنة: **المضافات إلى الله إن كانت أعياناً فهي من جملة المخلوقات، وإن كانت أوصافاً فهي من صفات الله:**

وبيان ذلك أن المضافات إلى الله على نوعين:

أ_أعيان قائمة بذاتها مثل: عبدالله، ناقة الله، فهذه من جملة المخلوقات، وإضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه، وقد تقتضي تشريفاً مثل: بيت الله، وناقة الله، وقد لا تقتضي تشريفاً مثل: أرض الله، سماء الله.

ب_ أن يكون المضاف أوصافاً غير قائمة بذاتها مثل: سَمْع الله، قدرة الله، بصر الله، فهذه الإضافة تقتضي أن هذه الصفة قائمة بالله، وأن الله متصف بها، وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

القاعدة التاسعة: **القول في بعض الصفات كالقول في بعض:**

وهي قاعدة يُردُّ بها على من فرَّق بين الصفات؛ فأثبت بعضها، ونفى بعضها، فيقال لمن فعل ذلك: أثبتها جميعاً، أو انْفِها جميعاً.

ومن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضها فهو مضطرب متناقض، وتناقض القول دليل على فساده وبطلانه.

القاعدة العاشرة: **القول في الصفات كالقول في الذات:**

وذلك أن الله _سبحانه_ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات.

القاعدة الحادية عشرة: **ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار:**

فباعتبار المعنى معلومة، وباعتبار الكيفية مجهولة؛ كالاستواء مثلاً، فمعناه معلوم لنا فهو بمعنى العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار.

أما كيفيته فمجهولة؛ لأن الله أخبرنا بأنه استوى، ولم يخبرنا عن كيفية استوائه، وهكذا يقال في باقي الصفات.

القاعدة الثانية عشرة: **في العلاقة بين الصفات والذات:**

وخلاصة القول في هذه المسألة أن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم؛ فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس؛ فلا يُتَصَوَّر وجودُ ذاتٍ مجردة عن الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات[1].

القاعدة الثالثة عشرة: **في علاقة الصفات بعضها ببعض من حيث الآثار والمعاني:**

أما بالنسبة لبعضها فقد تكون مترادفة من حيث المعنى أو متقاربة.

مثل المحبة، والرحمة، والفرح، والتعجب، والضحك.

وهناك صفات متقابلة كالرفع والخفض، والظاهرية والباطنية، والنفع والضر، والقبض والبسط.

وهناك صفات متضادة من حيث معانيها، مثل الغضب والسخط مع الرضا، ومثل الكراهية مع الحب، وهكذا. . .

فاتصافه _عز وجل_ بهذه الصفات المزدوجة المأخوذة من أسمائه المتقابلة، وبالصفات المتضادة في معناها على ما تقدم، والمترادفة باعتبار الذات، والمتباينة باعتبار ما بينها في الغالب _ دليل على الكمال الذي لا يشاركه فيه

١_ انظر الصفات الإلهية د. محمد أمان ص٣٤١.

أحد؛ لدلالته على شمول القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، والتفرد بشؤون الكون كله[1].

---

١ _ انظر الصفات الإلهية ص٣٤٧_٣٤٩.

الفصل الثالث

الضلال في توحيد الأسماء والصفات

وتحته:

المبحث الأول: ما يُضاد توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: الفِرَق التي ضلت في باب الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: حُكْمُ من نفى صفة من الصفات الثابة بالكتاب والسنة.

المبحث الأول: ما يضاد توحيد الأسماء والصفات

يضاد توحيد الأسماء، والصفات الإلحادُ فيها، ويدخل في الإلحاد التعطيلُ، والتمثيلُ، والتكييف، والتفويض، والتحريف، والتأويل.

أولاً: الإلحاد: الإلحاد في اللغة هو: الميل، ومنه اللحد في القبر، ومنه قول عمرو ابن معدي كرب الزبيدي ــرضي الله عنهــ:

كم مِنْ أخٍ كان لي ماجدٍ ... ألحدته في يديَّ الثرى

وقول جرير:

دعوت الملحدين أبا خبيب ... جماحاً هل شفيت من الجماح[1]

ويُقصد بالملحدين: المائلين عن الحق.

أما في الاصطلاح: فهو العدول عما يجب اعتقاده أو عمله[2].

والإلحاد في أسماء الله هو: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته[3]:

١ــ أن يُنْكَرَ شيءٌ مما دلت عليه من الصفات كفعل المعطلة.

٢ــ أن تُجعل دالة على تشبيه الله بخلقه، كفعل أهل التمثيل.

٣ــ أن يُسمى اللهُ بما لم يُسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية، كتسمية النصارى له (أباً) وتسمية الفلاسفة إياه (علة فاعلة) أو تسميته بــ (مهندس

١_ ديوان جرير ص٧٤.
٢_ انظر فتح ربِّ البرية بتخليص الحموية، ص١٨.
٣_ انظر المرجع السابق، ص١٩.

الكون) أو (العقل المدبر) أو غير ذلك.

٤_ أن يُشْتَقَّ من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق «اللات» من «الإله» والعُزَّى من «العزيز».

٥_ وصفه _تعالى_ بما لا يليق به، وبما يتره عنه، كقول اليهود: إن الله تَعِبَ من خلق السموات والأرض، واستراح يوم السبت، أو قولهم: إن الله فقير.

ثانياً: **التعطيل**: التعطيل في **اللغة**: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: [وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ] (الحج: ٤٥)، أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها[١].

وفي الاصطلاح: هو إنكار ما يجب لله _تعالى_ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه، وهو نوعان:

أ_ **تعطيل كلي**: كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاقم ينكرون الأسماء _أيضاً_.

ب_ **تعطيل جزئي**: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، وأول من عُرف بذلك من هذه الأمة الجعد بن درهم[٢].

ثالثاً: **التمثيل**: هو: إثبات مثيل للشيء، وفي الاصطلاح: اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقول الشخص: لله يدٌ مثل يدي، أو مثل أيدينا.

رابعاً: **التكييف**: حكاية كيفية الصفة كقول القائل: يد الله أو نزوله إلى

١_ انظر شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص٦٧.
٢_ انظر فتح البرية، ص١٥_١٦.

السماء الدنيا كذا وكذا، أو يده طويلة، أو غير ذلك، أو أن يسأل عن صفات الله بـــ: كيف.

خامساً: التفويض: هو الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة لا يعلمها إلا الله[1].

أو هو إثبات الصفات، وتفويض معناها وكيفيتها إلى الله ـ عز وجل ـ.

والحق أن الصفات معلومة معانيها، أما كيفيتها فيفوض علمها إلى الله ـ عز وجل ـ.

سادساً: التحريف: التحريف لغة: التغيير، وفي الاصطلاح: تغيير النص لفظاً أو معنى.

والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير، فهذه ثلاثة أقسام:

أ ـ تحريف لفظي يتغير معه المعنى: كتحريف بعضهم قولَه ـ تعالى ـ: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً] (النساء: ١٦٤) إلى نصب لفظ الجلالة؛ ليكون التكليم من موسى ـ عليه السلام ـ.

ب ـ تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى: كفتح الدال من قوله ـ تعالى ـ: [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] (الفاتحة: ٢)، وذلك بأن يقول: «الحمدَ لله. . .».

وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل؛ إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالباً.

جـ ـ تحريف معنوي: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى «اليدين» المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

---

١ ـ انظر مذهب التفويض في نصوص عرض ونقد د. أحمد القاضي ص٥٦٧.

سابعاً: التأويل: التأويل في اللغة يدور حول عدة معانٍ، منها الرجوع، والعاقبة، والمصير، والتفسير.

أما في الاصطلاح فيطلق على ثلاثة معانٍ، اثنان منهما صحيحان مقبولان معلومان عند السلف، والثالث مبتدع باطل.

وإليك بيان هذه المعاني:

المعنى الأول: التفسير، وهو إيضاح المعنى، وبيانه.

وهذا اصطلاح جمهور المفسرين كابن جرير وغيره، فتراهم يقولون: تأويل هذه الآية كذا وكذا، أي تفسيرها.

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء، وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة، كما قال _تعالى_: [هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ] (الأعراف:٥٣) وقوله: [ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] (الإسراء: ٣٥)، وقوله عن يوسف _عليه السلام_: [هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ].

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر.

وهذا ما اصطلح عليه المتأخرون من أهل الكلام وغيرهم.

كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة.

وهذا هو الذي ذمه السلف[1].

١_ انظر تفصيل الحديث عن التأويل عموماً، والتأويل الباطني في كتاب مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل للكاتب ص ١٤_٢٤ و٢٥_٣٩.

المبحث الثاني: الفرق التي ضلت في باب الأسماء والصفات[١]

هناك فرق عديدة ضلت في هذا الباب منها:

١_ الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهم ينكرون الأسماء والصفات.

٢_ المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وهم يثبتون الأسماء، وينكرون الصفات، معتقدين أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء[٢].

٣_ الأشاعرة: وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، وهم يثبتون الأسماء، وبعض الصفات، فقالوا: إن لله سبع صفات عقلية يسمونها «معاني» هي «الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر والكلام» وهي مجموعة في قول القائل:

حـــي علـــيم قـــدير والكـــلام لـــه   إرادة وكـــذك الســـمع والبصـــر

وإثباتهم لهذه الصفات مخالف لطريقة السلف في الجملة[٣].

٤_ الماتريدية: وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات، وإن كان هذا الإثبات مخالفاً لطريقة السلف في الجملة[٤].

٥_ الممثلة: وهم الذين أثبتوا الصفات، وجعلوها مماثلة لصفات المخلوقين، وقيل إن أول من قال بذلك هو هشام بن الحكم الرافضي.

المبحث الثالث: حكم من نفى صفة من الصفات الثابتة لله

١_ انظر فتح رب البرية، ص١٥.

٢_ نظر المعتزلة، وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها د. عواد المعتق، ص٨٤.

٣_ منهج الأشاعرة في العقيدة، د. سفر الحوالي، ص٦٠.

٤_ انظر الماتردية دراسة وتقويماً، للشيخ أحمد بن عوض الله الحربي، ص٢٣٤.

هذا الأمر يحتاج إلى تأنٍّ وتريث، ثم تفصيل.

فيقال: إن الذي ينفي صفة من الصفات الثابتة لله بالنصوص القطعية لا يخلو من أحد ثلاثة أحوال.

أولها: أن يكون النافي عالماً بالنص الذي ثبتت به الصفةُ المنفيةُ كتاباً كان أو سنة، ولا توجد لديه شبهات قد تُغَيِّر مفهومَه للنص، وإنما نفى لعناده، وفساد قصده، ومرض قلبه، ومشاقتَّه للرسول من بعد ما تبين له الحق.

فهذا كافر؛ لتكذيبه كلامَ الله، أو كلامَ رسوله ﷺ.

الثاني: أن يكون النافي مجتهداً في طلب الحق، معروفاً بالنصيحة والصدق، ولكنه أخطأ وتأول؛ لجهله بالنص، أو لعدم علمه بالمفهوم الصحيح؛ فحكمه أنه معذور، وخطؤه مغفور؛ لأن نفيه ناتج عن تأويل، لا عن عناد وفساد قصد.

الثالث: أن يكون النافي مُتَّبِعاً لهواه، مقصراً في طلب الحق، متكلماً بلا علم، ولكنه لا يقصد مشاقة الرسول، ولم يتبين له الحق تماماً؛ فحكمه أنه عاصٍ مذنبٌ، وقد يكون فاسقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقَصَد الحقَّ فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه.

ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر.

ومن اتبع هواه، وقصَّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب، وقد

يكون فاسقاً، وقد تكون حسناته ترجح على سيئاته؛ فالتكفير يختلف باختلاف حال الشخص؛ فليس كلُّ مخطىء، ولا مبتدعٍ، ولا جاهلٍ، ولا ضالٍ يكون كافراً، بل ولا فاسقاً، بل ولا عاصياً»[١].

وقال رحمه الله: «هذا مع أنني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلى تكفير، وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلِم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى.

وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية.

وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يَشْهَدْ أحدٌ منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية».

إلى أن قال: «وكنت أبيِّن أن ما نقل عن السلف، والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول: كذا وكذا فهو أيضاً حق.

لكن يجب التفريق بين الإطلاق، والتعيين»[٢].

١_ مجموع الفتاوى ١٨٠/٢.
٢_ مجموع الفتاوى ٢٢٩/٣.

الفصل الرابع

الكلمات المجملة، وطريقة أهل السنة في التعامل معها

وتحته:

تمهيد

المبحث الأول: دراسة لكلمتي: الجهة والحد.

المبحث الثاني: دراسة لكلمتي: الأعراض، والأبعاض.

المبحث الثالث: دراسة لكلمتي: الأغراض، وحلول الحوادث بالله _تعالى_.

المبحث الرابع: دراسة لكلمة: التسلسل.

الفصل الرابع: الكلمات المجملة، وطريقة أهل السنة في التعامل معها

تمهيد

يَرِدُ في كتب العقائد مصطلح (الكلمات المجملة).

فما المقصود بها؟ وما معنى كونها مجملة؟ وما المراد من إطلاقها؟ وما الذي دعى إلى إطلاقها؟ وهل وردت في الكتاب والسنة؟ وما طريقة أهل السنة في التعامل مع هذه الألفاظ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تكون على النحو التالي:

أ_المقصود بالكلمات المجملة: أنها ألفاظ يطلقها أهل التعطيل.

أو: هي مصطلحات أحدثها أهل الكلام.

ب_ ومعنى كونها مجملة: أنها تحتمل حقاً وباطلاً.

أو يقال: لأنها ألفاظ مُشتركة بين معانٍ صحيحة، ومعانٍ باطلة. أو يقال لخفاء المراد منها؛ بحيث لا يدرك معنى اللفظ إلا بعد الاستفصال والاستفسار.

ج_ ومراد أهل التعطيل من إطلاقها: التوصل إلى نفي الصفات عن الله _تعالى_ بحجة تنزيهه عن النقائص.

د_ والذي دعاهم إلى ذلك: عجزهم عن مقارعة أهل السنة بالحجة؛ فلجؤوا إلى هذه الطريقة؛ ليخفوا عوارهم، وزيفهم.

هـــ_ وهذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب، ولا في السنة؛ بل هي من إطلاقات أهل الكلام.

و_ **وطريقة أهل السنة في التعامل مع هذه الكلمات:** أنهم يتوقفون في هذه الألفاظ؛ لأنه لم يرد نفيها ولا إثباتها في الكتاب والسنة؛ فلا يثبتونها، ولا ينفونها.

أما المعنى الذي تحت هذه الألفاظ فإنهم يستفصلون عنه، فإن كان معنى باطلاً يُنَزَّه الله عنه رَدُّوه، وإن كان معنى حقاً لا يمتنع على الله قبلوه، واستعملوا اللفظ الشرعي المناسب للمقام.

وأشهر الألفاظ المجملة وروداً في كتب العقائد ما يلي:

١_ الجهة.

٢_ الحدّ.

٣_ الأعراض.

٤_ الأبعاض أو الأعضاء والأركان والجوارح.

٥_ حلول الحوادث بالله _تعالى_.

٦_ التسلسل.

وسيرد في المباحث التالية دراسة وتحليل لتلك الألفاظ المجملة.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

فغير خافٍ على من عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ما لتوحيد الألوهية من الأهمية؛ فهو توحيد العبادةِ، والعبادةُ هي الغاية المرضية والمحبوبة لله _عز وجل_ وهي الغاية العظمى، والمقصود الأسمى؛ فلأجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وخلقت الجنة والنار.

ثم إن توحيد الألوهية دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اقتفى أثرهم من العلماء، والدعاة والمصلحين.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن توحيد الألوهية، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم توحيد الألوهية.

المبحث الثاني: أهمية توحيد الألوهية، وأدلته، ووقوع الضلال فيه.

المبحث الثالث: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية.

المبحث الرابع: طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: مفهوم العبادة.

المبحث السادس: شروط قبول العبادة، وأهمية ذلك.

المبحث السابع: أركان العبادة، وحكم تغليب بعضها على بعض.

هذا ما تيسر جمعه وتقييده في هذا الباب؛ فأسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته

العلى أن ينفع بهذه الصفحات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

والله أعلم،وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المبحث الأول: مفهوم توحيد الألوهية

أولاً: تعريف توحيد الألوهية

عرف العلماء توحيد الألوهية بتعريفات متقاربة، إلا أن بعضها قد يكون أطول من بعض، فمن تلك التعريفات ما يلي:

١_ هو إفراد الله بأفعال العباد.

٢_ هو إفراد الله بالعبادة.

٣_ هو إفراد الله _تعالى_ بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله _تعالى_ كائناً من كان[1].

٤_ وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله بتعريف جامع ذكر فيه حدَّه، وتفسيره، وأركانه، فقال: «فأما حدُّه، وتفسيره، وأركانه فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم، واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله _تعالى_.

فإذا عرف ذلك واعترف به حقّاً أفرده بالعبادة كلها: الظاهرة، والباطنة؛ فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام

١_ انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص٥١.

بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقوم بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره لله.

لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربِّه، وطلب ثوابه، متابعاً في ذلك رسول الله ﷺ.

فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه، وآدابه الاقتداءُ بنبيه ﷺ في هديه، وسمته، وكل أحواله»[1].

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله عن هذا النوع في منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:

هـــذا وثـــانيْ نـــوعي التوحيـــدِ إفـــرادُ ربِّ العـــرش عـــن نديـــد

أن تعبـــد اللهَ إلهـــاً واحـــداً معترفـــاً بحقـــه لا جاحـــدا[2]

ثانياً: أسماء توحيد الألوهية

توحيد الألوهية يسمى بعدة أسماء منها:

١ـ **توحيد الألوهية** ـكما مرـ وسمي بذلك باعتبار إضافته إلى الله، أو باعتبار الموحَّد، ولأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة.

١ـ انظر الحق الواضح المبين لابن سعدي ١١٢ـ١١٣، والفتاوى السعدية لابن سعدي ص١٠ـ١١، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق العباد البدر ١٥١ـ١٥٢.

٢ـ سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي ص٢٩.

٢_ **توحيد العبادة**؛ باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد، ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده.

٣_ **توحيد الإرادة**؛ لتضمنه الإخلاص، وتوحيد الإرادة والمراد، فهو مبني على إرادة وجه الله بالأعمال.

٤_ **توحيد القصد**؛ لأنه مبنٌّي على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.

٥_ **التوحيد الطلبي**؛ لتضمنه الطلب، والدعاء من العبد لله.

٦_ **التوحيد الفعلي**؛ لتضمنه أفعالَ القلوب والجوارح.

٧_ **توحيد العمل**؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده[١].

ثالثاً: أركان توحيد الألوهية

توحيد الألوهية يقوم على أركان ثلاثة هي:

١_ توحيد الإخلاص: ويسمى توحيد المراد، فلا يكون للعبد مرادٌ غير مراد واحد وهو الله _سبحانه وتعالى_ فلا يزاحمه مرادٌ آخر.

٢_ توحيد الصدق: ويسمى توحيد إرادة العبد، وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه.

٣_ توحيد الطريق: وهو المتابعة للرسول ﷺ.

١_ انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان ابن عبدالله ص٣٨.

قال ابن القيم رحمه الله:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمان

فقوله: (فلواحدٍ): أي لله، وهذا هو توحيد المراد.

وقوله: (كن واحداً): في عزمك، وصدقك، وإرادتك، وهذا هو توحيد الإرادة.

وقوله (في واحد): هو متابعة الرسول ﷺ الذي هو طريق الحق والإيمان، فهذا هو توحيد الطريق[1].

والأدلة على هذه الأركان الثلاثة كثيرة، فمن أدلة الإخلاص قوله _تعالى_:[وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ](البينة: ٥).

ودليل الصدق قوله _تعالى_:[فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ](محمد: ٢١)، وقوله:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] (التوبة: ١١٩)، ودليل المتابعة قوله _تعالى_: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ] (آل عمران: ٣١).

فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص كمال العبد إلا بنقص واحد من هذه الأشياء[2].

١_ انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم، شرح الشيخ محمد خليل هراس ١٣٤/٢.

٢_ انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٥٢، والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان ص٤٢_٤٣.

المبحث الثاني: أهمية توحيد الألوهية، وأدلته، ووقوع الضلال فيه

أولاً: أهمية توحيد الألوهية

لتوحيد الألوهية أهمية عظمى، وتتجلى تلك الأهمية في أمور منها:

١ــ أن توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد: فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين.

يقول الشيخ حافظ الحكمي عن أهميته في منظومته:

وهو الذي به الإله أرْسلا	رسْلَه يدعون إليه أولا
وأنزل الكتابَ والتبيانا	من أجله وفرَّق الفرقانا
وكلف الله الرسولَ المجتبى	قتالَ مَنْ عَنْهُ تولى وأبى
حتى يكونَ الدينُ خالصاً له	سرًّا وجهراً دقَّه وجلَّه
وهكذا أمته قد كلفوا	بذا وفي نص الكتاب وصفوا[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً أهمية توحيد العبادة: «وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها ــكما قال الله تعالىــ:[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ](الذاريات: ٥٦).

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: [اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ](الأعراف: ٥٩).

إلى أن قال رحمه الله: «وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال ــتعالىــ: [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ

١ــ سلم الوصول ص٢٩ــ٣٠.

(١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)] (الأنبياء).

وذم المستكبرين عنها بقوله:[وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] (غافر: ٦٠).

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال ـ تعالى ـ:[عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً] (الإنسان:٦).

وقال:[وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً](الفرقان: ٦٣)»[1].

وقال رحمه الله في موطن آخر: «واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس عليه، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقةَ العبدِ قلبُه وروحُه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن بالدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولابد لها من لقائه.

ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذاتٌ أو سرورٌ بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ ـ غير منعمٍ ولا ملتذٍ له، بل قد يؤذيه اتصالُه به، ووجوده عنده، ويضره ذلك.

وأما إلهه فلابد له منه في كل حال، وكل وقت، وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل ﷺ :[لا أُحِبُّ الآفِلِينَ](الأنعام: ٧٦).

وكان أعظم آية في القرآن الكريم:[اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] (البقرة:

---

١ ـ العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٩ ـ ٤٠.

٢٥٥)»[١].

وقال رحمه الله: «فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله ـ سبحانه ـ.

ومن عبد غير الله وإن أحبه، وحصل به مودة في الحياة الدنيا، ونوع من اللذة ـ فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ آكل الطعام المسموم»[٢].

وقال رحمه الله: «واعلم أن كل من أحب شيئاً لغير الله فلا بد أن يضره محبوبه، ويكون ذلك سبباً لعذابه»[٣].

وقال: «فمن أحب شيئاً لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد، فإن فقد عُذِّب بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثرُ مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار بالاستقراء.

وكل من أحب شيئاً دون الله لغير الله فإن مضرته أكثرُ من نفعه؛ فصارت المخلوقات وبالاً عليه، إلا ما كان لله وفي الله؛ فإنه كمال وجمال للعبد.

وهذا معنى ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه**»[٤][٥].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله مبيناً أهمية هذا النوع: «وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها، وأفضلها، وأوجبها، وألزمها لصلاح

١ـ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/١ـ٢٥.
٢ـ مجموع الفتاوى ٢٤/١.
٣ـ مجموع الفتاوى ٢٨/١.
٤ـ مجموع الفتاوى ٢٩/١.
٥ـ أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) و قال الترمذي: «حسن غريب» وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤١٤).

الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجنَّ والإنسَ لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائعَ لقيامه.

وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفَرْق بينهم وبين المشركين»[١].

٢_ أن جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة متوقفة عليه: فهي متوقفة في قبولها، وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد؛ فكلما قوي التوحيد والإخلاص كملت هذه الأمور وتمت.

وإذا كمل في قلب صاحبه حُبِّبَ إليه فعل الخيرات، وترك المنكرات، وصار من الراشدين.

٣_ ما يترتب عليه من الفضائل، والثمرات الجليلة: وقد مرَّ ذكر بعضها، ومنها أن العبد يتحرر من رق المخلوقين، ومن التعلق بهم خوفاً ورجاءً.

وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي.

وإذا كمل في القلب صار القليل من العمل كثيراً؛ بحيث تضاعف أجور صاحبه أضعافاً كثيرة.

ثانياً: أدلة توحيد الألوهية

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة، وتنوعت دلالتها في وجوب إفراد الله بالعبادة؛ فتارة تأتي نصوص الكتاب آمرةً بتوحيد الله أمراً مباشراً، وتارة تأتي

١_ انظرالقواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي، ص١٩٢.

مبينةً الهدف من خلق الجن والإنس، وتارة تأتي موضحةً الغايةَ من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي محذرةً من مخالفته، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به في الدنيا والآخرة، وتارة لبيان عقوبة من تركه، وتخلى عنه، أو ناوأه، وحارب أهله.

فمن تلك الأدلة من الكتاب والسنة على وجود إفراد الله بالعبادة قوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ](البقرة: ٢١).

وقوله: [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ](هود:١٢٣).

وقوله: [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ](قريش:٣).

وقوله: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً](النساء:٣٦) وقوله: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] (الأنعام:١٥١) وقوله: [وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ] (الإسراء:٢٣) وقوله: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ](الذاريات:٥٦) وقوله: [وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً](الإسراء:٣٩) وقوله: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] (الفاتحة:٥) وقوله: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ] (الأنبياء:٢٥) وقوله: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] (النحل:٣٦).

ومن السنة ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن معاذ ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**».

قلت: أفلا أبشر الناس؟

قال: «**لا تبشرهم، فيتكلوا**»[1].

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه الأدلة في مباحث آتية.

ثالثاً: مضادة توحيد الألوهية

يضاد توحيد الألوهية: **الشرك** الذي يذهب به بالكلية، **والبدع** التي تذهب بكماله الواجب، **والمعاصي** التي تقدح فيه، وتنقص ثوابه.

رابعاً: الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية

الفرق التي أشركت في هذا النوع من التوحيد كثيرة منها:

١ـ اليهود: الذين عبدوا العجل، ولا يزالون يعبدون الدرهم والدينار؛ فالمال هو معبودهم.

٢ـ النصارى: لادعائهم ألوهية المسيح ـعليه السلامـ وعبادتهم له.

٣ـ الشيعة: لدعائهم علياً، والعباس ـرضي الله عنهماـ وغيرهما من آل البيت.

٤ـ النصيرية: لعبادتهم علياً رضي الله عنه وزعمهم أنه الإله[2].

٥ـ الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي[1].

١ـ البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

٢ـ انظر الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية (العلوية) لسليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، ص٣٦، وانظر النصيرية لسهير الفيل، دار المنار، ص٤٧ـ٤٨.

٦_ **غلاة الصوفية، وعباد القبور**: لغلوهم في الأولياء، وصرف النذور، والقرابين لأصحاب القبور، وطوافهم حول القبور إلى غير ذلك من القربات التي تصرف لأصحابها.

١_ انظر إلى: عقيدة الدروز، عرض ونقض د. محمد أحمد الخطيب، ص١١٧_١٣٥، دار عالم الكتب.

المبحث الثالث: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية

أنواع التوحيد متلازمة، وبعضها مرتبط ببعض، وفيما يلي بيان لشيء من علاقة توحيد الألوهية؛ بتوحيد الربوبية والعكس:

١_ **توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية:** بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية؛ فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لزم إفراده بالعبادة.

٢_ **توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية:** بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر.

٣_ **توحيد الربوبية عمل قلبي لا يتعدى القلب**، ولذا سمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي.

أما توحيد الألوهية فهو عمل قلبي وبدني، فلا يكفي فيه عمل القلب، بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله وحده لا شريك له.

٤_ **أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده:** ذلك لأن توحيد الربوبية مركوز في الفطر، فلو كان كافياً لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلا يكفي أن يقر الإنسان بما يستحقه الرب _تعالى_ من الصفات، وأنه الرب الخالق وحده.

ولا يكون موحداً إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله، فيقر ويعلم بأن الله هو المألوه

المعبود وحده، ويعبده بمقتضى هذا الإقرار والعلم.

٥ــ **توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل:** وهو الذي حصل به النزاع بينهم وبين أممهم، كما قال قوم هود لنبيهم هود ــعليه السلامــ عندما قال لهم: [اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] (الأعراف: ٥٩) [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا(٧٠)] (الأعراف).

وكما قال كفار قريش لما أُمِروا بإفراد الله بالعبادة:[أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ] (ص: ٥).

أما توحيد الربوبية فإنهم لم ينكروه، بل إن إبليس لم ينكره [قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي] (الحجر: ٣٩).

٦ــ **أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا:** ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعاً في سياق واحد صار لكل واحد منهما معنى خاص يُراد به، كما في قوله ــتعالىــ: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ(٣)] (الناس).

فيكون معنى الرب: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: «من ربك؟»، ومعناه: من إلهك؟ وكما في قوله ــتعالىــ: [الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ] (الحج:٤٠)، وقوله: [قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً](الأنعام: ١٦٤)، وقوله: عن الخليل ــعليه السلامــ: [رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] (البقرة: ٢٥٨)، وكما في قوله ــتعالىــ: [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ] (النمل: ٦٢).

٧ـ لابد لسلامة التوحيد، والفوز بالدارين من تحقيق هذين الأمرين[١].

١ـ انظر الإرشاد ص٢١ـ٢٣.

المبحث الرابع: طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم

تنوعت طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية وأساليبها في القرآن الكريم، وقد مرَّت الإشارة إلى شيء من ذلك، وفيما يلي مزيد بسط لهذا الأمر:

١_ أمر الله _سبحانه_ بعبادته: قال _تعالى_: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] (النساء:٣٦).

٢_ نهي الله _عز وجل_ عن عبادة مَنْ سواه: كما في قوله _تعالى_: [فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (البقرة: ٢٢).

٣_ إخبار الله _سبحانه وتعالى_ أنه خلق الخلق لعبادته: كما في قوله: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ(٥٦)] (الذاريات).

٤_ إخبار الله أنه أرسل الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة غيره: كما في قوله: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] (النحل: ٣٦).

٥_ الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية: فإذا كان الله _تعالى_ هو الخالق الرازق الذي لم يشاركه في ذلك مشارك وجب أن لا يُتَأَلَّهَ لغيره، ولا يُتَعَبَّدَ سواه، ولزم أن يُخَصَّ بالتوحيد كما قال _تعالى_:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (البقرة: ٢١).

٦_ الاستدلال على وجوب عبادته بكونه النافع، الضار، المعطي، المانع: فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

٧_ الاستدلال على وجوب عبادته بانفراده بصفات الكمال، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين، كما في قوله _تعالى_: [فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] (مريم: ٦٥).

وقوله: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (١٨٠)] (الأعراف).

وقوله عن خليله _عليه السلام_ أنه قال لأبيه: [إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً] (مريم:٤٢).

٨_ الاستدلال على وجوب عبادته بدقة صنعه: فكلما تدبر العاقل ذلك، وتغلغل فكره فيه، وازداد تأمله في ذلك علم أنه هو المستحق للعبادة.

٩_ الاستدلال على وجوب عبادته بتعدد نعمه: فإذا عُلِمَ أن ما بالعباد من نعمة فمن الله وحده، وأن أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً إلا بإذن الله، وأن الله هو النافع الضار _ علم أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

١٠_ تعجيز الله لآلهة المشركين: كقوله _تعالى_: [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ(١٩٢)] (الأعراف) وقوله: [قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً] (الإسراء:٥٦) وقوله: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ] (الحج:٧٣).

١١_ تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله: كما في قوله _تعالى_: [أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ(٦٧)] (الأنبياء)، وقوله: [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] (البقرة:١٣٠).

١٢_ بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله: وبيان مآلهم مع من عبدوهم؛ حيث تتبرأ منهم تلك المعبوداتُ في أحرج المواقف كما قال _تعالى_: [وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ (١٦٧)] (البقرة).

وقوله: [وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] (فاطر: ١٤).

١٣_ بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة: كما قال الله عن إمامهم إبراهيم _عليه السلام_: [وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ] (البقرة:١٣٠).

وقوله: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: ٨٢).

١٤_ رده على المشركين باتخاذ الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له _سبحانه_ لا تطلب من سواه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبَعْدَ رضاه عن المشفوع له، قال _سبحانه_: [أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ(٤٤)] (الزمر).

وقال: [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ] (البقرة:٢٥٥).

١٥_ بيان أن هؤلاء المعبودين من دون الله لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه كما قال _تعالى_: [قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ(٢٣)] (سبأ).

١٦_ ذكر البراهين والأمثلة الدالة على بطلان الشرك، وسوء عاقبته، مما يجعل النفوس السليمة تنفر منه، قال _تعالى_: [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ] (الحج:٣١)[1].

١_ انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٨_٣٩، ودعوة التوحيد للهراس، ٣٩_٤٥، والإرشاد ص ٢٥_٢٨، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص١٥٤_١٥٦.

المبحث الخامس: مفهوم العبادة

أولاً: تعريف العبادة لغةً، واصطلاحاً

١ـ تعريف العبادة لغةً: هي التذلل والخضوع، فيقال: بعير معبد أي مذلل، وطريق معبد أي مذلل، ذللته الأقدام.

ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد[١]

فقوله: فوق مور معبد: أي فوق طريق مذلل من كثرة السير عليه، فالمور هو الطريق.

٢ـ تعريف العبادة في الاصطلاح: عرفت العبادة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

أـ عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها: «اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[٢].

بـ وعرفها ابن القيم بأنها: «كمال المحبة مع كمال الذل».

وقال في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان[٣]

جـ وعرفها الشيخ ابن سعدي رحمه الله بعدة تعريفات منها قوله: «العبادة

١ـ شرح المعلقات العشر للزوزني، ص٩٧.
٢ـ العبودية، ص(٣٨).
٣ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٣٢.

روحُها وحقيقتُها تحقيقُ الحبِّ والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»[١].

د_ وعرفها بتعريف ثانٍ فقال: «العبادة والعبودية لله اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك»[٢].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبادة تطلق إطلاقين:[٣]

الأول: الفعل الذي هو التَّعَبُّد.

الثاني: المفعول وهو المُتَعَبَّدُ به أو القربة.

مثال ذلك الصلاة ففعلها عبادة وهو التعبد، وهي نفسها عبادة وهي المتعبد به.

فعلى الإطلاق الثاني تُعَرَّف العبادة بتعريف شيخ الإسلام، وعلى الإطلاق الأول تُعَرَّف بالتعريف الثاني والثالث.

أما التعريف الرابع الذي هو تعريف ابن سعدي فإنه يشمل الإطلاقين الفعلِ والمفعولِ.

ومن التعريفات للعبادة _أيضاً_: «الأعمال الصالحة الإرادية التي تُؤَدَّى لله

١_ الحق الواضح المبين، ص٥٩_٦٠.
٢_ الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٦٢.
٣_ انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عثيمين، ١/١٠.

تعالى ويفرد بها»[١].

وهذا يشمل الإطلاقين _أيضاً_.

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة ظاهر؛ فالعبادة هي ذات القربة أو فعلها. أما توحيدها فصرفها لله وحده لا شريك له.

ثانياً: أنواع العبادة

العبادة لها أنواع كثيرة، فبعضها قولي؛ كشهادة أن لا إله إلا الله، وبعضها فعلي؛ كالجهاد في سبيل الله، وإماطة الأذى عن الطريق، وبعضها قلبي؛ كالحياء، والمحبة، والخوف، والرجاء، وغيرها، وبعضُها مشترك كالصلاة مثلاً، فإنها تجمع ذلك كله.

ومن أنواع العبادة _زيادة على ماسبق_: الزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد المنافقين والكفار، والإحسان إلى الحيوان، والأيتام، والمساكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والدعاء، والذكر، وكذلك الذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، والاستعانة، والتوكل، والتوبة، والاستغفار.

وهذه العبادات لا يجوز صرفها إلا لله، ومن صرفها لغيره فقد أشرك[٢].

١_ عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد التوني، ص٢٥.

٢_ انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٩_٤٢، والإرشاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٩، وانظر عقيدة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص٤٧_٧٠.

ثالثاً: عبودية الخلق لله

تنقسم عبودية الخلق لله إلى ثلاثة أقسام:

١_ عبودية عامة: ويشترك فيها كافة الخلق؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

قال _تعالى_:[إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً] (مريم: ٩٣).

فهذه عبودية الربوبية؛ فالخلق _بهذا الاعتبار_ كلهم عبيد لله مربوبون له.

٢_ عبودية خاصة: وهي عبودية الألوهية، وهي عبودية عباد الله الصالحين وهم كلُّ من تَعبَّد لله بشرعه، وأخلص في عبادته.

قال _تعالى_: [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً] (الفرقان:٦٣).

ولهذا أضافهم إلى اسمه إشارة إلى أنهم وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، وهذه إضافة التشريف.

٣_ عبودية خاصة الخاصة: وهي _أيضاً_ عبودية الألوهية، وهي للأنبياء والمرسلين الذين لا يباريهم ولا يدانيهم أحد في عبادتهم لله، قال _تعالى_: [وَاذْكُرْ عِبَادَنَا] (ص:٤٥) وقال عن نوح:[إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً](الإسراء: ٣)، وقال عن داود _عليه السلام_: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ] (ص:١٧) وقال عن محمد ﷺ: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ] (الإسراء:١)، وقال: [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً] (الجن:١٩) [١].

١_ انظر القول المفيد للشيخ محمد بن عثيمين ٢٨/١_٢٩.

المبحث السادس: شروط قبول العبادة، وأهمية ذلك

أولاً: شروط قبول العبادة

لا تقبل العبادة إلا إذا توافر فيها شرطان:

١ـ الإخلاص لله.

٢ـ المتابعة للرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال ـتعالىـ: [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً] (الكهف: ١١٠).

وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره»[١].

فمن أراد عبادة الله فلابد له من توافر هذين الشرطين، ولسان حاله يقول: (إياك أريد بما تريد).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ـتعالىـ:[لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] (الملك: ٢).

قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟

١ـ العبودية، ص١٧٠.

قال: إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[١].

فإذا فُقِد الشرطان أو أحدُهما بطلت العبادة.

وتوضيح ذلك بالمثال الآتي: لو أن شخصاً صلى لغير الله، وعلى صفة غير الصفة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ لردت عبادته، لماذا؟ لأنه فقد الشرطين معاً.

كذلك لو صلى كما كان الرسول ﷺ يصلي؛ بحيث أتى بصفة الصلاة الظاهرة كاملة، ولكنه صرفها لغير الله لبطلت عبادته، لماذا؟ لأنه فقد الإخلاص، والله ــسبحانهــ يقول: [إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ]

(النساء:٤٨).

وقال ــتعالىــ: [وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأنعام:٨٨).

كذلك لو صلى لله، ولكن على صفة غير الصفة التي علمنا إياها الرسول ﷺ؛ بحيث ابتدع صفة من عنده بطلت عبادته؛ لأنه فقد المتابعة، والرسول ﷺ يقول في الحديث المتفق عليه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢].

أي مردود، والجار والمجرور في قوله: «**عليه**» متعلق بمحذوف تقديره (حاكماً أو مهيمناً).

وفي رواية أخرى للحديث «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو**

١ــ انظر العبودية، ص٧٦.
٢ــ مسلم (١٧١٨) وأحمد ١٤٦/٦.

رد»[١].

وهذان الشرطان في الحقيقة متلازمان؛ فإن من الإخلاص لله أن يُتَّبَعَ النبي ﷺ واتِّبَاعُه _عليه الصلاة والسلام_ مستلزم للإخلاص.

ثانياً: أهمية الإخلاص والمتابعة

للإخلاص والمتابعة اللذين هما شرطا قبول العبادة أهمية عظمى، وتتجلى هذه الأهمية في أمور منها:

١_ أن الله أمر بإخلاص العبادة له: قال _تعالى_: [وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] (الأعراف: ٢٩).

٢_ أن الله _تعالى_ اختص نفسه بالتشريع: فهو حقه وحده، ومن تَعَبَّد الله بغير ما شرع فقد شارك الله _عز وجل_ في تشريعه، قال _تعالى_:[شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] (الشورى: ١٣).

وقال:[وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] (الأنعام: ١٥٣).

٣_ أن الله أنكر على من يشرِّع من عند نفسه: قال _تعالى_:[أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] (الشورى: ٢١).

٤_ أن الله أكمل لنا الدين، ورضيه لنا: قال _تعالى_: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً] (المائدة:٣).

فالابتداع في الدين إنما هو في الحقيقة استدراك على الله، وعلى رسوله ﷺ

١_ البخاري١٦٧/٣، ومسلم (١٧١٨).

واتهام للدين بالنقص.

٥ـ ضَبْطُ أمورِ العباد في تقربهم إلى الله: فلو جاز للناس أن يتعبدوا بما شاؤوا، كيفما شاؤوا لأصبح لكل إنسان طريقتُه الخاصة بالعبادة، ولأصبحت حياةُ الناس جحيماً لا يطاق؛ إذ يسود التناحر والتنافر؛ لاختلاف الأذواق، مما يؤدي إلى الشقاق والافتراق.

والاتباعُ وترك الابتداع أعظمُ سببٍ للائتلاف والاجتماع.

٦ـ ظهور الحاجة إلى ما جاءت به الرسل: فلو جاز للناس أن يعبدوا الله بما شاؤوا كيفما شاؤوا لترتَّب على ذلك عدم حاجة الناس إلى الرسل، ولا يقول بهذا عاقل.

المبحث السابع: أركان العبادة، وحكم تغليب بعضها على بعض

أولاً: أركان العبادة

للعبادة ثلاثة أركان، هي:

١_ الحب ٢_ الخوف ٣_ الرجاء

وجعلها بعض أهل العلم أربعة:

الحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء.

ولا تعارض بين الأمرين؛ فإن الرجاء ينشأ من الحب، فلا يرجو الإنسان إلا من يحب، وكذلك الخوف ينشأ من التعظيم، فلا يخاف الإنسان إلا من عظيم.

وقد أثنى الله على أهل الخوف والرجاء من النبيين والمرسلين، فقال:[إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] (الأنبياء: ٩٠).

ومدح القائمين بذلك من سائر عباده، فقال:[أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ](الزمر: ٩).

وقال _سبحانه وتعالى_: [وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ] (الإسراء:٥٧).

وقال: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] (السجدة: ١٦).

كما أمر _عز وجل_ باستحضار ذلك وقصْدِه فقال: [وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً] (الأعراف: ٥٦).

هذه هي عبادة الأنبياء والمرسلين، وعباد الله المؤمنين، فمن ذا الذي هو

أحسن منهم؟ وأكمل من هديهم؟ وهل تقبل دعواه؟

الجواب: لا؛ فالخوف والرجاء متلازمان؛ فكلاهما بريد الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فلو سألت من لا يأكل الربا من المؤمنين مثلاً مع قدرته عليه؛ فقلت له: لم لا ترابي؟ لبادر بقوله: إني أخاف الله، وأرجو ثوابه.

ولو سألت المصلي لِمَ تصلي؟ لقال: خوفاً من الله وطمعاً في ثوابه، وهكذا...

فَغَيْرُ الله قد يُحَبُّ، ولكن لا يُخاف منه، وقد يُخاف منه، ولكن لا يُحب.

أما الله ـ عز وجل ـ فيجتمع الأمران في حقه؛ فيُخاف ويحب، فلابد للمؤمن ـ إذاً ـ من الجمع بين الحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم.

أما العبادة بالحب وحده فلا تكفي، وليست صحيحة؛ لأنها لا تتضمن تعظيماً لله، ولا خشيةً منه؛ إذ إن صاحبها يجعل الله ـ سبحانه ـ بمنزلة الوالد والصديق، فلا يتورع من اقتراف المحرمات، بل يستهين بها؛ بحجة أن الحبيب لا يعذب حبيبه، كما قالت اليهود والنصارى:[نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ] (المائدة:١٨).

وكما يقول غلاة الصوفية: نحن نعبد الله لا خوفاً من عقابه، ولا طمعاً في ثوابه، إنما نعبد الله حباً له كما عبر بذلك كثير منهم كرابعة العدوية التي تقول:

أحبك حبين حبَّ الهوى ... وحبَّاً لأنك أهلٌ لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك لي الحجبَ حتى أراكا[1]

وكما قال ابن عربي:

---

١ ـ الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل لسميح عاطف الزين، ص٢٥٧.

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني[1]

ولا شك أن هذا مسلك باطل، وطريقة فاسدة، لها آثار وخيمة منها الأمن من مكر الله، وغايته الخروج من الملة؛ فالذي يتمادى في التفريط والخطايا ويرجو رحمة ربه بلا عمل يقع في الغرور، والأماني الباطلة، والرجاء الكاذب.

كذلك العبادة بالخوف وحده دون الحب والرجاء ليست صحيحة، بل هي باطلة فاسدة، وهي طريقة الخوارج الذين لا يجعلون تعبدهم لله مقروناً بالمحبة، فلا يجدون للعبادة لذة، ولا إليها رغبة، فتكون منزلة الخالق عندهم كمنزلة سلطان جائر، أو ملك ظالم.

وهذا مما يورث اليأس أو القنوط من رحمة الله، وغايته الكفر بالله، وإساءة الظن به.

قال ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني**»[2].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ـعز وجلـ**»[3].

وحسن الظن هو الباعث على العمل؛ الذي يلزم منه تحري الإجابة عند الدعاء، والقبول عند التوبة، والمغفرةِ عند الاستغفار، والإثابةِ عند العمل.

أما ظن المغفرة والإجابة والإثابة مع الإصرار على الذنوب والتقصير في العمل

١_ الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د.محمد بن سعد ابن حسين، ص١٧٢.

٢_ رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

٣_ رواه مسلم (٢٨٧٧).

فليس من حسن الظن في شيء، بل هو سَفهٌ وجهلٌ وغرور.

فلابد ـ إذاً ـ للعابد أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، وأن يكون اللهُ أعظمَ عنده من كل شيء؛ فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله؛ فإنك إذا خفته فررت إليه، فالخائف من الله هارب إليه، قال ـ تعالى ـ: [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] (الذاريات: ٥٠).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والرجاء، والحب، فهو مؤمن موحد»[١].

ثانياً: حكم تغليب أركان العبادة على بعض

هناك سؤال يدور كثيراً وهو، أيهما يُغَلَّب؟ الخوف أو الرجاء.

الجواب: أنه اختُلف في ذلك على أقوال منها:

١ ـ **قيل**: ينبغي أن يغلِّب الإنسان جانب الخوف؛ ليحمله ذلك على فعل الطاعة وترك المعصية.

٢ ـ **وقيل**: يغلِّب جانب الرجاء؛ ليكون متفائلاً، والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

٣ ـ **وقيل**: في فعل الطاعة يغلب الرجاء؛ لينبعث إلى العمل؛ فالذي منَّ عليه بالطاعة سَيَمُنُّ عليه بالقبول، ولهذا قال بعض السلف: إذا وفقك الله للدعاء

---

١ ـ انظر العبودية، ص١٢٨.

فانتظر الإجابة؛ لأنه يقول:[ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ](غافر:٦٠).

وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف؛ لأجل أن يمنعه ذلك من فعل المعصية، قال _تعالى_:[قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] (الأنعام:١٥).

وهذا قريب ولكن ليس بالقرب الكامل، إذ قد يُعْتَرض عليه بقوله _تعالى_: [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ] (المؤمنون: ٦٠).

٤_ وقيل: يغلب جانب الخوف في الصحة، وجانب الرجاء في المرض.

٥_ وقيل: هما كجناحي الطائر، فالمؤمن يسير إلى الله بجناحين هما الرجاء والخوف، فإذا استويا تم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

٦_ وقيل يختلف من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال.

٧_ وقيل: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب؛ فالمحبة هي المَرْكَبُ، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله المُوصل بمنّه وكرمه.[1]

١_ انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٣٠_٣٢، والقول المفيد ١/٥١_٥٢، و٢/١٦٤_١٦٥، وانظر الرسالة الثانية عشرة مسائل في المحبة، والخوف، والرجاء للكاتب.

ثانياً: نبذة في الشرك

أولاً: تعريف الشرك: هو أن يشرك مع الله غيره في حق من حقوقه.

أو هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو أن يُعظَّم كما يعظم الله، أو أن يُصرَف له نوع من أنواع الألوهية أو الربوبية.

ثانياً: أقسام الشرك: ١ــ شرك أكبر. ٢ــ شرك أصغر.

ثالثاً: تعريف الشرك الأكبر: هو اتخاذ العبد نداً من دون الله يسوِّيه بربِّ العالمين.

رابعاً: تعريف الشرك الأصغر: ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

أو هو الذرائع والوسائل الموصِّلة للشرك الأكبر.

خامساً: أمثلة للشرك الأكبر: ١ــ الذبح لغير الله.

٢ــ النذر لغير الله.

٣ــ الطواف بالقبور، ودعاء أهلها من دون الله.

٤ــ دعاء الأموات والغائبين كما يُدعى الله ــعز وجلــ.

٥ــ محبة غــــير الله كحبِّ الله.

٦ــ الخوف من غير الله كالخوف من الله.

٧ــ الاستعاذة والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٨ــ جعل العبد وسائط بينه وبين الله يدعوهم، ويتوكل عليهم.

سادساً: أمثلة للشرك الأصغر: ١ــ الحلف بغير الله.

٢ـ تعظيم المخلوق تعظيمًا لا يبلغ رتبة العبادة.

٣ـ تعليق التمائم والحروز؛ بزعم أنها تدفع العين ونحو ذلك.

٤ـ الصلاة لله عند القبور.

سابعاً: الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: هناك فروق عديدة منها:

١ـ يختلفان في التعريف كما مرَّ.

٢ـ الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الملة، والتخليد في النار، أما الأصغر فبخلاف ذلك.

٣ـ الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

٤ـ الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، أما الأصغر ففيه خلاف، والصحيح ـ والله أعلم ـ أنه تحت المشيئة.

ثامناً: ضوابط في تمييز الشرك الأصغر من الأكبر:

١ـ صريح النص كقوله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

٢ـ أن يأتي منكَّراً: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

٣ـ ما يفهمه الصحابة من النص أنه أصغر؛ فهم أعلم الناس بمعاني نصوص الكتاب والسنة.

تاسعاً: أسباب وقوع الشرك: ١ـ الجهل. ٢ـ الإعجاب، والتعظيم.

٣ـ الميل إلى الأمور المحسوسة. ٤ـ الهوى، والشهوات.

٥ـ التقليد الأعمى للآباء والأجداد. ٦ـ علماء السوء، وجهلة العُبَّاد.

٧ــ وجود طواغيت يصدون النـــاس عن عبـــادة الله.

٨ــ حب المال والشهرة والجاه.   ٩ــ الكبر.

١٠ــ التقصير في جانب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عاشراً: أضرار الشرك: ١ــ أنه السبب الأعظم في دخول النار والخلود فيها.

٢ــ أنه السبب الأعظم لحرمان الجنة.   ٣ــ أنه السبب الأعظم لحبوط العمل.

٤ــ الشرك يطفئ نور الفطرة.   ٥ــ هو أعظم سبب للشقاء في الدنيا.

٦ــ الشرك يقضي على عزة النفس، وعلى الأخلاق الفاضلة.

٧ــ سبب للفرقة والتناحر، وفقدان الأمن.

٨ــ سبب للتخلف في شـــتى الميادين.   ٩ــ سبب للهزائم وتسلط الأعداء.

ثالثاً: نبذةٌ في التمائم

أولاً: تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يُعَلَّق على الأعناق أو المراكب أو البيوت، أو غيرها؛ لجلب نفع، أو دفع ضر، أورفعه، سواء كانت من القرآن، أوالخيوط، أوالخرز، أوالحصى، أو غيرها.

ثانياً: أسماؤها الأخرى: للتمائم أسماء أخرى منها:

١ـ الحروز.   ٢ـ الحجب.

٣ـ التعاليق.   ٤ـ الودع.

ثالثاً: تحريم التمائم: التمائم محرمة بالكتاب والسنة، قال ـتعالىـ: [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (الأنعام:١٧).

وقال ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له**» رواه أحمد، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي.

رابعاً: أسباب تحريمها: ١ـ لما فيها من تعلُّق القلب بغير الله.

٢ـ لأنها ليست سبباً شرعياً ولا قدرياً، واعتقادُ أنها سبب تشريعٌ مع الله، ومنازعة له في خلقه وأمره.

٣ـ أنها تفــتح على العبد باب الخرافة، وتقوده إلى الشرك.

٤ـ أنها سبب للخذلان؛ لأن من تعلق شيئاً وُكل إليه.

خامساً: هل التمائم من الشرك الأصغر أو من الأكبر؟ الجواب كما يلي:

١ـ إذا كانت التميمة صنماً، أو رقية شركية، أو صليباً ـ فهذا شرك أكبر

بلا ريب.

٢ـ إذا كانت من الخيوط، أو الخرز، أو نحوهما، واعتمد عليها العبد اعتماداً كلياً، وقام بقلبه أنها تؤثر بنفسها استقلالاً ـ فهذا أيضاً شرك أكبر.

٣ـ إذا كان من الخيوط، أو الخرز، ونحوهما، واعتقد أنها مجرد سبب، ولم يعتمد عليها اعتماداً كلياً ـ فهذا شرك أصغر.

سادساً: حكم المعلَّق إذا كان من القرآن أو الأدعية النبوية: الصحيح أنه لا يجوز للأسباب الآتية:

١ـ سداً للذرائع الموصلة للشرك.

٢ـ لعموم النهي في التمائم.

٣ـ لأنه قد يفضي إلى امتهان القرآن والأدعية النبوية، وذلك بالدخول بها في الخلاء، وبتعريضها للأوساخ.

٤ـ لأنه ذريعة للدجَّالين؛ كي يكتبوا آية أو سورة أو بسملة، ثم يضعوا تحتها طلاسم شيطانية واستغاثات شركية.

٥ـ لأنه قد يكون مدعاة لهجر القرآن، والدعاء؛ اكتفاءً بما عُلِّق.

سابعاً: نماذج للتمائم الموجودة: ١ـ ما يُعلَّق على الأطفال؛ خشية العين.

٢ـ ما تُعلِّقه بعض النساء، أو تضعه في غرفتها، أو تحت وسادتها؛ لاتقاء العين، أو للحفظ من الأذى أو لجلب محبة الزوج، ونحو ذلك.

٣ـ ما يعلق على السيارات من رسوم، أو خرز، أو غير ذلك؛ لدفع العين.

٤ـ ما يعرف بالدنبوشي عند بعض لاعبي الكرة؛ حيث يضعون على سواعدهم لفة معينة، أو يعلقونها على الشباك، وربما كان المعلق مشتملاً على آيات

قرآنية توضع تحت حذاء اللاعبين؛ زعماً منهم أن ذلك يجلب الفوز! كل ذلك من الأمور الشركية المحرمة.

رابعاً: نبذةٌ في التبرك

أولاً: تعريفه: التبرك هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكلِّ ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، بسبب ذات مباركة، أو زمان أو مكان مبارك، وتكون هذه البركة قد ثبتت ثبوتاً شرعياً، وثبتت الكيفية التي تنال بها عن النبي ﷺ.

ثانياً: قواعد عامة مجملة في التبرك: ١ــ أن البركة كلَّها من الله، كما أن الرزق، والنصر، والعافية من الله؛ فلا تطلب إلا من الله، وطلبها من غيره شرك.

٢ــ أن ما ورد شرعاً أن فيه بركةً من الأعيان، والأقوال، والأفعال إنما هو سبب للبركة، وليس هو مصْدَرَها.

٣ــ أن الذي يدل على وجود البركة من عدمها بسبب شيء أو في شيء إنما هو الدليل الشرعي فحسب.

ثالثاً: نماذج للتبرك المشروع: ١ــ التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره.

٢ــ التبرك بالأفعال والأقوال، والهيئات المشروعة: فإذا جاء المسلم بها ملتمساً الخير بسببها، متبعاً السنة بفعلها ــ حصل له من الخير والبركة بقدر نيته واجتهاده.

ومن ذلك: ذكر الله، وقراءة القرآن، والاجتماع على الذكر، والتقدم في ساحات الوغى جهاداً في سبيل الله.

ومن ذلك: الاجتماع على الطعام، والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع بعد الانتهاء من الطعام.

٣ــ التبرك المشروع بالأمكنة: كالتبرك بالمساجد عموماً، وبالمسجد الحرام

والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد قباء خصوصاً، فلهذه المساجد مزيّة على غيرها.

والتبرك بالمساجد كالتبرك في غيرها لا بد فيه من الإخلاص والمتابعة، فمما تحصل به البركة في المساجد الاعتكاف، والصلاة، والذكر، وغير ذلك.

ومن الأمكنة المباركة أيضاً: مكة، والمدينة، والشام.

٤ـ التبرك بالأزمنة: مثل رمضان، وليلة القدر، وثلث الليل الآخر، والجمعة، والاثنين، والخميس، وعشر ذي الحجة.

٥ـ التبرك بالمطعومات وما في حكمها: كالتبرك بزيت الزيتون، واللبن، والتمر، والحبة السوداء، والكمأة، وأكلة السَّحَر، وكالعسل، وماء زمزم.

ويلحق بما سبق: الخيل، والغنم؛ ففي تربيتها بركة.

وكل ما مضى وردت به الأدلة الشرعية، والمقام لا يتسع لبسطها.

وبالجملة فأعظم سبب للبركات هو الإيمان والتقوى [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ](الأعراف: ٩٦).

رابعاً: التبرك الممنوع: هو ما لم يرد فيه نص، أو ما ورد النص في النهي عن التبرك فيه، كالتبرك بالطواف بالقبور، ودعاء الأموات والغائبين، وكالتبرك بالأشجار، والأحجار، والغيران، وغيرها، وكالتبرك بذوات العلماء والصالحين؛ فإن هذا لا يجوز، وإنما تلتمس البركة بأخذ العلم عنهم، وبالاستفادة من سمتهم وهديهم.

المبحث الثالث: أنواع من السحر

هناك أعمال يمكن إلحاقها بالسحر لما بينهما من التشابه والاشتراك في ادعاء علم الغيب، أو سلوك الطرق المحرمة في الوصول إلى ذلك.

ومن أشهر تلك الأنواع: الكهانة والعرافة، والتنجيم، والطيرة، والخط على الرمل وما يلحق به.

وفيما يلي من صفحات بيان لتلك الأنواع، وما يتعلق بها من أحكام:

أولاً: الكهانة والعرافة

١ _ مفهوم الكهانة والعرافة: قيل: إنهما بمعنى واحد يطلقان على الحازي، والطبيبِ، وكلِّ مَنْ يتعاطى علماً دقيقاً.[1]

وقيل: إن الكاهن هو مَنْ يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار سواء كان له تابع من الجن، ورئيٌّ يلقي إليه الأخبار، أو كان ممن يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يُسْتَدَلُّ بها على مواقعها مِنْ كلامِ مَنْ يسأله، أو فعله، أو حاله.

وقيل: بل هذا الأخير هو العراف الذي يدعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوها.

وقيل: الكاهن مَنْ يخبر عن الغيب الماضي والمستقبل، والعراف من يخبر عن

---

١ _ انظر لسان العرب مادة (كهن)، ومادة (عرف) ١٧/٢٤٤_٢٤٥، و١١/١٤٢، والمصباح المنير ٢/٥٣.

الماضي.[1]

يقول ابن عابدين رحمه الله: «الكاهن قيل: هو الساحر، وقيل: هو العراف الذي يُحدِّث ويتخرص.

وقيل: مَنْ له مِنَ الجن مَنْ يأتيه بالأخبار».[2]

٢_ وجه إلحاق الكهانة والعرافة بالسحر: ألحقت الكهانة والعرافة بالسحر لأمور، منها:

أ_ لكونهما مشابهين له من جهة الإخبار بما يخفى على الآخرين.

ب_ أن فيهما ادعاءً لعلم الغيب كحال السحر.

جـ _ أنهما سبيل لسلوك الطرق المحرمة للوصول إلى المغيبات.[3]

د_ أنهما طريق لفتح باب الخرافة، والدجل، والتعلق بغير الله _جل وعلا_.

ثانياً: التنجيم

١_ مفهوم التنجيم: أ_ التنجيم في اللغة: مصدر الفعل: نَجَّمَ، مأخوذ من النجم، وهو الكوكب، وهو اسمُ علمٍ على الثريا.[4]

والمنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم، ويحسب مواقيتها وسيرها.[5]

ب_ التنجيم في الاصطلاح: هو ادعاءُ معرفةِ أحكامِ النجوم المتعلقة بالعالم

---

١ _ انظر المفردات في غريب القرآن ص٤٤٢_٤٤٣، وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبدالله ٤٠٦ و٤١١_٤١٢، وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص٣٨_٣٩، وأضواء البيان ٤/٤٥٥، والسحر بين الحقيقة والخيال ١٧٥_١٧٦.

٢ _ حاشية ابن عابدين ٤/٢٤٠ بتصرف يسير.

٣ _ انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص١٧٦.

٤ _ انظر الصحاح للجوهري ٥/٢٣٩.

٥ _ انظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢/١١٥.

السفلي، وتأثيرات النجوم فيه.(١)

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية».(٢)

وعرفه ابن خلدون رحمه الله بقوله: «ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قِبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولِّدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية».(٣)

٢_ وجه إلحاق التنجيم بالسحر: دراسة هذا العلم من جهة معرفة خصائص الأجرام العلوية، وأبعادها، وحركاتها ليس داخلاً في موضوع السحر.

وإنما يدخل في السحر، وكونِه أَحَدَ أنواعه من جهة سحر الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور، والسعادة والنحوسة.

وهؤلاء هم الذين بعث الله لهم إبراهيم _عليه السلام_ مبطلاً لمقالتهم، وهؤلاء يعتقدون أن لهذه الكواكب إدراكاتٍ رُوحانيةً، إذا قوبلت بما يناسب روحانيتَها من البخور واللباس كانت مطيعةً لمن صنع ذلك، عاملةً له ما يريد.

---

١ _ انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٢/٣٥، وانظر التنجيم والمنجمون وحكمه في الإسلام للشيخ د.عبدالمجيد المشعبي وهو من أحسن ما كتب في هذا الباب ص٣١.

٢ _ انظر مجموع الفتاوى ١٩٢/٣٥.

٣ _ مقدمة ابن خلدون ص٥١٩_٥٢٠.

ولا شك بأن هذا الاعتقاد باطل، وشرك، وهو المنحى الذي يتوارثه السحرة؛ ليضللوا به الخلق، ويوحوا إليهم بأن هذه الأجرام العلوية تتصرف في العالم السفلي، وأنها فاعلة لما يحدث فيه.[١]

فهذا وجه إلحاق التنجيم بالسحر، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ما اقتبس رجل علماً من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر زاد ما زاد**».[٢]

بمعنى أن هذا الاقتباس الذي يكون سحراً هو ما يدعيه المنجمون، ولا يمكن حمل الاقتباس على أنه إدراك علم صحيح عن أحوال النجوم؛ لأن معرفة صفاتها التي خلقها الله ـ تعالى ـ عليها، وخصائصها التي هيأها لها ـ ليست هي ما يعتقده السحرة فيها من كونها مؤثرةً، وعلةً تامةً تستلزم معلولها، بل الباطل المحذور هو ما يدعيه أولئك من الباطل الداعي إلى عبادة غير الله ـ تعالى ـ.

أما هي فبعض مخلوقات الله العليم الحكيم الذي لم يخلق شيئاً عبثاً، بل خلق العالم وَرَتَّبَه؛ فهو يسير بنظام محكم دقيق وَفْقَ ما أراد، فما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، بحيث رُتِّبت فيه الأسباب، وربطت بمسبَّباتها، وخَالِقُها كلِّها هو الله ـ تعالى ـ.[٣]

ملحوظة: هناك أمور يظنها بعض الناس من التنجيم، وهي ليست منه، كالعلم بحادثتي الكسوف والخسوف، فيمكن العلم بذلك بحساب النيِّرين كما

---

١ ـ انظر أحكام القرآن للجصاص ٥٢/١ـ٥٤، وتفسر التحرير والتنوير ٦٣٥/١، و السحر بين الحقيقة والخيال ١٨٢ـ١٨٣.

٢ ـ أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٧١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩٣).

٣ ـ انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص١٨٣.

يعلم طلوع الهلال والبدر بحسابهما.

وكذلك توقع حالة الجو؛ فهو قائم على دراسة معينة، وبواسطة آلات خاصة بذلك، وقد تصيب تلك التوقعات، وقد تخطئ، ولكنها ليست من جنس أخبار المنجمين.[١]

ثالثاً: الطِّيرة

١_ مفهوم الطيرة: أ_ تعريف الطيرة لغة: الطيرة، والتطير بمعنىً واحد؛ فالتطير مصدر الفعل تطير يتطير، والطيرة اسم المصدر.

مثل تخير يتخير تخيراً، وخِيرةً، ويقال: تطيَّرت من الشيء، وبالشيء[٢].

ب_ والطيرة في الاصطلاح هي: التشاؤم من الشيء المرئي، أو المسموع[٣].

والتشاؤم: هو عَدُّ الشيء مشؤوماً، أي يكون وجوده سبباً في وجود ما يحزن ويضر[٤].

جـ_ اشتقاق الطيرة، وسبب تسميتها بذلك: الطيرة مشتقة من أحد أمرين:

إما من الطيران: فكأن الذي يرى ما يكره أو يسمع_يطير، كما قال بعضهم:

---

١ _ انظر التنجيم والمنجمون ص٣٠٣_٣٢٠ و٣٢٥.
٢ _ انظر لسان العرب لابن منظور ٥١٢/٤_٥١٣.
٣ _ انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٤٦/٢، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣٥٧/٣_٣٦٣.
٤ _ انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٦٦/٥.

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوَّت إنسان فكدت أطير[١]

وإما من الطير: وهذا هو الأصل، والمختار من الوجهين؛ إذ كانت العرب تزجر الطير والوحش، أي تُنَفِّرها، وترسلها، وتتفاءل أو تتشاءم بها.

فمن قال بالأول احتج بأن الوحش يُتطيَّر به، وزُجِرت مع الطير.

ومن قال بالقول الثاني قال: إنما كان الأصل في الطير، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يُغَلَّب أحد الشيئين على الآخر؛ فيذكر دونه، ويرادان جميعاً، كما قيل:

ما يعيف اليوم في الطير الدَّوَح من غراب البين أو تيس برح

فجعل التيس من الطير؛ إذ قدم ذكر الطير، وجعله من الطير بمعنى التطير[٢].

---

١ _ هذا البيت يُنسب للشنفرى، ولتأبط شراً، ولغيرهما.

وبعض الناس يفهم هذا البيت بعكس معناه؛ فيظن أن القائل كاد يطير من شدة الفرح.

والصحيح أنه كاد يطير من الهم، والخوف بدليل أنه قال في البيت الذي يليه:

يرى الله أني للأنيس لكارهٌ وتبغضهم لي مقلة وضمير

وبدليل أن هذا البيت يُنسب لأحد الصعاليك إما الشنفرى، أو تأبط شراً، أو غيرهما.

ولا يخفى أن الصعاليك ذوو غارات، ومخاطرات، ورغبة في العيش في الصحارى، وإيثار للوحدة والبعد عن الناس كما قال الشنفرى في لامِيَّتِه:

ولي دونكم أهلون سَيدٌ عَمَلَّسٌ وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

أولئك لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذلُ

ويقصد بالسِّيد العملس: الذئب القوي، والأرقط: النمر، والعرفاء: الضبع، يريد أن العيش مع تلك الحيوانات خيرٌ له من العيش مع البشر.

٢ _ انظر العمدة لابن رشيق القيرواني ٢/٢٥٩_٢٦٤.

فالتطير _**إذاً**_ مأخوذ من الطير في الأصل، ثم أطلق على كل ما يتوهم أنه سبب في لحاق الشر، سواء كان مسموعاً، أو مرئياً، أو معلوماً، وسواء كان طيراً، أو حيواناً، أو جماداً، أو زماناً، أو مكاناً، أو شخصاً، أو نباتاً، أو عدداً، أو نحو ذلك.

ومما يدخل في مبحث الطيرةِ العيافةُ، وهي: مَصْدَرُ الفعل عاف يعيف، والمصدر عيافة.

والعيافة هي: زجر الطير، وتنفيرها، وإرسالها، والتفاؤل، أو التشاؤم بأسمائها، وأصواتها، وممراتها؛ فعن العيافة يكون الفأل، أو التشاؤم.

٢_ **وَجْهُ كونِ الطيرةِ من السحر:** قال _عليه الصلاة والسلام_: «**إن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت**»[1].

قال عوف: «**العيافة:** زجر الطير، **والطَرْق:** الخط في الأرض، **والجبت:** قال الحسن: إنه الشيطان».[2]

قيل في تفسير الجبت: هو كل ما عبد من دون الله، وقيل: هو الكاهن، والساحر، والسحر.[3]

قال الدكتور أحمد الحمد مبيناً وجه كون الطيرة من السحر من خلال

---

١ _ أخرجه أبو داود(٣٩٠٧)، وحسنه إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧٠).

٢ _ أبو داود(٣٩٠٨)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: «صحيح مقطوع».

٣ _ انظر المفردات ص٨٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٩/٥، ولسان العرب ٣٢٥/٢.

الحديث الماضي: «إن معاني الجبت كلها صادقة في العيافة، والطرق، والطيرة بحسب أحوالها، وكل تلك المعاني دالة على عِظَمِ جُرْم فاعلها.

فإن كانت سحراً فلها أحكامه، وما قيل فيه يقال فيها.

ولا شك بأن اعتقاد أن تلك الأفعال مُنْبِئَةٌ عن ما سيحصل من الغيب، أو أن هذا الفعل مباح ـ كفرٌ، واعتقادَ أنها تجلب له النفع، أو تدفع عنه الضرر ـ شرك، فهذا نوع عبادة لها.

وفاعل هذه الأمور، ومفسرها لنفسه أو للناس ـ ساحر، وإقدامه على الفعل تبعاً لذلك، أو امتناعه، أو طاعة غيره له ـ عبادة لغير الله ـ تعالى ـ لما صح عن رسول الله ﷺ أن الطيرة شرك، فقد روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**الطيرة شرك** «ثلاثاً» **وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**».[1]

وإن كان صاحب تلك الأعمال لا يعتقدها فهو كذب، وغش، وبهتان، ووسيلة إلى الشرك ممن قد يصدقه، وبحسب حاله يكون حكمه من الكفر،أو

---

١ ـ رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في المستدرك١٧/١، وصححه، ووافقه الذهبي.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله ـ تعالى ـ.

وقال: «قوله: «**وما منا إلا**» قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري: في الحديث إضمارٌ، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهى.

وقال الخلخالي: حذف المستثنى؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: «**ولكن الله يذهبه بالتوكل**»: أي لما توكلنا على الله في جلب النفع، أو دفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده». انظر فتح المجيد ٥٢٣/٢ـ٥٢٤.

الفسوق والعصيان؛ فالفاسق من يتظاهر بتلك الأعمال كذباً من غير اعتقاد، ولا استعانة بالشياطين، وجعلِ تلك الأمور وسيلة ظاهرة يضلل بها.

والكافر هو فاعلها معتقداً إباحتها، أو صدقها ودلالتها، أو المستعين بالشياطين على كشف بعض الأمور، واتخاذ تلك وسيلة يخفي بها صُنْعَه».[1]

ومما يؤكد علاقة الطيرة بالسحر أن أهل الجاهلية كانوا يقصدون بالسؤال عن حوادثهم، وما أَمَّلوه مِنْ أعمالهم _ مَنِ اشْتُهِر عندهم بإحسان الزجر، والطيرة، وسموه عائفاً، وعرافاً.

وممن اشتهر بذلك عرَّاف اليمامة، والأبلق الأسدي، والأجلح، وعروة ابن يزيد، وغيرهم؛ فكان العرب يحكمون بذلك، ويعملون به، ويتقدمون، ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه، ويتصرفون؛ في حال الأمن، والخوف، والسعة، والضيق، والحرب، والسلم؛ فإن أنجحوا فيما يتفاءلون به مدحوه، وداوموا عليه، وإن عطبوا فيه تركوه وذموه.[2]

رابعاً: الخط على الرمل، وما يلحق به

الخط على الرمل: هو الطرق الوارد في قوله ﷺ: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**»[3].

وقد مضى وجه كونه ملحقاً بالسحر في الفقرة الماضية عند الحديث عن الطيرة.

---

١ _ السحر بين الحقيقة والخيال ص١٨١_١٨٢.

٢ _ انظر مفتاح دار السعادة ٢/٢٢٩_٢٣٠، وانظر تفصيل الكلام في الطِّيرة في رسالة الطيرة للمؤلف.

٣ _ مضى تخريجه.

وطريقة هذه الصناعة أن الذين يتعاطونها من المنجمين جعلوا من النقط والخطوط ستة عشر شكلاً، وميزوا كلاً منها باسم وشكل يختلف عن غيرها، وقسّموها إلى سعود ونحوس.

وشأنهم في ذلك شأنهم في الكواكب، ومسائل هذه الصناعة تخمينية يزعمون أنها مبنية على تجارب، ويربطونها بالنجوم، ويقولون: إن البروج الاثني عشر يقتضي كل منها شكلاً معيناً من الأشكال التي اصطلحوا عليها، وقالوا: إنه حين السؤال عن المطلوب تقتضي أوضاع البروج قوى الشكل المعين الذي يرسمه الرمّال على الرمل، وتلك الأشكال تدل على أحكام مخصوصة تناسب أوضاع البروج.[1]

ومما يدخل في علم الرمل، ويأخذ حكمه علم الأسارير، وهو علم باحث في الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، وبحسب ما بينها من الفروج المتسعة، أو المتضايقة على أحوال الإنسان من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر، وما شابه ذلك.

ويلحق به _أيضاً_ ما يسمى بقراءة الفنجان.[2]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «وقد ظهر من أقواله ﷺ ومن تقريرات الأئمة من العلماء، وفقهاء هذه الأمة_ أن علم النجوم، والخط على الرمل، وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط، وما

١ _ انظر التنجيم والمنجمون ص٢٩٤.
٢ _ انظر التنجيم والمنجمون ص٣٠١.

أشبه ذلك كلها من علوم الجاهلية، ومن الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها، والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به».[١]

١ _ مجلة البحوث العلمية عدد ٢٠ ص٧_١١.

المسألة الأولى: معنى البدعة في اللغة[1].

تأتي مادة (بدع) في اللغة على معنيين:

أحدهما: الشيء المخترع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ .

وجاء على هذا المعنى قول عمر رضي الله عنه : "نعمت البدعة"[2] ، وقول غيره من الأئمة؛ كقول الشافعي: "البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة؛ فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم"[3].

قال ابن رجب: "وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج، ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه"[4] .

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٠٦، ١٠٧ ومختار الصحاح: ٤٣، ٤٤ والمصباح المنير: ٣٨ والاعتصام: ١/٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري: ٤/٢٥٠ برقم ٢٠١٠ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٩/١١٣ .

(٤) جامع العلوم والحكم: ١/١٢٩ .

والمعنى الثاني: التعب والكلال، يقال: أبدعت الإبل، إذا بـركت في الطريق من هزال أو داء أو كـلال، ومنه قـول الرجـل الـذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني أُبدع بي فاحملني فقال ما عندي فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله ﷺ : "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"(١) .

وهذا المعنى يرجع إلى المعنى الأول؛ لأن معنى أبدعت الإبـل: بـدأ بها التعب بعد أن لم يكن بها .

المسألة الثانية: معنى البدعة في الشرع .

وردت في السنة المطهرة أحاديث نبوية فيها إشـارة إلى المعنى الشرعي للفظ **البدعة**، فمن ذلك:

١. حديث العرباض بن سارية ﷺ ، وفيه: قوله ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم: ١٣/٣٨-٣٩ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه؛ واللفظ له: ٤/٢٠١ برقم ٤٦٠٧ وابن ماجه: ١/١٥ برقم ٤٢ والترمذي: ٥/٤٤ برقم ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحديث صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم: ١٧ برقم ٢٧ .

٢.حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، وفيه: أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: (إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)[١] .

وإذا تبيَّن بهذين الحديثين أن البدعة هي المحدثة استدعى ذلك أن يُنظر في معنى **الإحداث** في السنة المطهرة، وقد ورد في ذلك:

٣.حديث عائشة ﷺ وهو قوله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)[٢] .

٤.وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٣] .

هذه الأحاديث الأربعة إذا تؤملت وجدناها تدل على **حد البدعة وحقيقتها في نظر الشارع** .

ذلك أن للبدعة الشرعية **قيودا ثلاثة** تختص بها، والشيء لا يكون بدعة في الشرع إلا بتوفرها فيه، وهي:

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه: ٣/١٨٨ والحديث أصله في ٣/١٥٣ . وللاستزادة راجع كتاب خطبة الحاجة للألباني .

(٢) أخرجه البخاري: ٥/٣٠١ برقم ٢٦٩٧ ومسلم: ١٢/١٦ واللفظ له

(٣) أخرجه مسلم:١٢/١٦ .

١) الإحـــداث .

٢) أن يضـاف هـذا الإحــداث إلى الديــن .

٣) ألا يســتند هــذا الإحــداث إلى أصــل شــرعي؛ بطريـــق خـاص أو عـام .

وإليك فيما يأتي إيضاح هذه القيود الثلاثة:

١) الإحداث .

والدليل على هذا القيد قوله ﷺ : "من أحدث" وقوله: "وكل محدثة بدعة" .

والمراد بالإحداث: الإتيان بالأمر الجديد المخترع، الذي لم يسبق إلى مثله[1] . فيدخل فيه: كل مخترع، مذموما كان أو محمودا، في الدين كان أو في غيره .

---

(١) سواء في ذلك: ما أُحدث ابتداء أول مرة، إذ لم يسبقه مثيل؛ كعبادة الأصنام أول وجودها، وهذا هو الإحداث المطلق .
وما أُحدث ثانيا، وقد سُبق إلى مثله، ففُعل بعد اندثار؛ كعبـادة الأصنـام في مكة، فإن عمرو بن لحي هو الذي ابتدعها هنا لك، وهذا هو الإحـداث النسبي . ومنه: كل أُضيف إلى الدين وليس منه، كما دل على ذلك حديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهـو رد) فيسـمى محدثـا بالنسـبة إلى الدين خاصة، وهو قد لا يكون محدثا بالنسبة إلى غير الدين .

وبهذا القيد خرج ما لا إحداث فيه أصلا؛ مثل فعل الشعائر الدينية كالصلوات المكتوبات، وصيام شهر رمضان، ومثل الإتيان بشيء من الأمور الدنيوية المعتادة كالطعام واللباس ونحو ذلك .

ولما كان الإحداث قد يقع في شيء من أمور الدنيا، وقد يقع في شيء من أمور الدين؛ تحتّم تقييد هذا الإحداث بالقيدين الآتيين:

٢) أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين .

والدليل على هذا القيد قوله ﷺ : "في أمرنا هذا" . والمراد بأمره ها هنا: دينه وشرعه(١) .

فالمعنى المقصود في البدعة: **أن يكون الإحداث من شأنه أن يُنسب إلى الشرع ويضاف إلى الدين بوجه من الوجوه**، وهذا المعنى يحصل بواحد من أصول ثلاثة: الأصل الأول: التقرب إلى الله بما لم يشرع، والثاني: الخروج على نظام الدين، ويلحق بهما أصل ثالث، وهو الذرائع المفضية إلى البدعة .

وبهذا القيد تخرج المخترعات المادية والمحدثات الدنيوية مما لا صلة له بأمر الدين، وكذلك المعاصي والمنكرات التي استحدثت، ولم تكن من قبل، فهذه لا تكون بدعة، اللهم إلا إن فُعلت على وجه التقرب، أو كانت ذريعة إلى أن يظن أنها من الدين .

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم: ١/١٧٧ .

٣) ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي؛ بطريق خاص ولا عام .

والدليل على هذا القيد: قوله ﷺ : "ما ليس منه" وقوله: "ليس عليه أمرنا" .

وبهذا القيد تخرج المحدثات المتعلقة بالدين مما له أصل شرعي، عام أوخاص، فمما أُحدث في الدين وكان مستندا إلى دليل شرعي عام: ما ثبت بالمصالح المرسلة؛ مثل جمع الصحابة ﷺ للقرآن، ومما أُحدث في هذا الدين وكان مستندا إلى دليل شرعي خاص: إحداث صلاة التراويح جماعة في عهد عمر ﷺ فإنه قد استند إلى دليل شرعي خاص . ومثله أيضاً إحياء الشرائع المهجورة، والتمثيل لذلك يتفاوت بحسب الزمان والمكان تفاوتا بيِّنا، ومن الأمثلة عليه ذكر ا لله في مواطن الغفلة .

وبالنظر إلى المعنى اللغوي للفظ الإحداث صحَّ تسمية الأمور المستندة إلى دليل شرعي محدثات؛ فإن هذه الأمور الشرعية اُبتدئ فعلها مرة ثانية بعد أن هُجرت أو جُهلت، فهو إحداث نسبي .

ومعلوم أن كل إحداث دل على صحته وثبوته دليل شرعي فلا يسمى ــ في نظر الشرع ــ إحداثا، ولا يكون ابتداعا، إذ الإحداث والابتداع إنما يطلق ـ في نظر الشرع ـ على ما لا دليل عليه .

وإليك فيما يأتي ما يقرر هذه القيود الثلاثة من كلام أهل العلم:

قال ابن رجب: "فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين، و لم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين منه بريء"[(١)]

وقال أيضاً: "والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة"[(٢)].

وقال ابن حجر: "والمراد بقوله: (كل بدعة ضلالة) ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام"[(٣)].

وقال أيضاً: "وهذا الحديث [يعني حديث من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده؛ فإن من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه"[(٤)].

---

(١) جامع العلوم والحكم: ١٢٨/٢ .

(٢) المصدر السابق: ١٢٧/٢ .

(٣) فتح الباري: ٢٥٤/١٣ .

(٤) المصدر السابق: ٣٠٢/٥ . وانظر أيضاً معارج القبول: ٤٢٦/٢ وشرح لمعة الاعتقاد: ٢٣ .

التعريف الشرعي للبدعة:

يمكننا مما سبق تحديد معنى البدعة في الشرع بأنها ما جمعت القيود الثلاثة المتقدمة، ولعل التعريف الجامع لهذه القيود أن يقال: البدعة هي: "**ما أُحدث في دين ا لله، وليس له أصل عام ولا خاص يدل عليه**" .

أو بعبارة أوجز: "**ما أُحدث في الدين من غير دليل**" .

المسألة الثالثة: موازنة بين المعنى اللغوي للبدعة والمعنى الشرعي .

وذلك من وجهين:

١.أن المعنى اللغوي للبدعة أعم من المعنى الشرعي، فإن بينهما عموما وخصوصا مطلقا؛ إذ كل بدعة في الشرع داخلة تحت مسمى البدعة في اللغة، ولا عكس؛ فإن بعض البدع اللغوية ــ كالمخترعات المادية ـ غير داخلة تحت مسمى البدعة في الشرع[1] .

٢.أن البدعة بالإطلاق الشرعي هي: البدعة الواردة في حديث (كل بدعة ضلالة) دون البدعة اللغوية، ولذلك فإن البدعة الشرعية

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٥٩٠

موصوفة بأنها ضلالة، وأنها مردودة، وهذا الاتصاف عام لا استثناء فيه، بخلاف البدعة اللغوية فإنها غير مقصودة بحديث (كل بدعة ضلالة) فإن البدعة اللغوية لا يلازمها وصف الضلالة والذم، ولا الحكم عليها بالرد والبطلان .

المسألة الرابعة: العلاقة بين الابتداع والإحداث .

الابتداع والإحداث يردان في اللغة بمعنى واحد؛ إذ معناهما: الإتيان بالشيء المخترع بعد أن لم يكن .

وأما في المعنى الشرعي فقد **دلت الأحاديث الأربعة المتقدمة على أن للبدعة في الشرع اسمين: البدعة والمحدثة .**

إلا أن لفظ البدعة غلب إطلاقه على "الأمر المخترع المذموم، في الدين خاصة" .

وأما لفظ المحدثة فقد غلب إطلاقه على "الأمر المخترع المذموم، في الدين كان أو في غيره" .

وبهذا يعلم أن الإحداث أعم من الابتداع؛ لكون لفظ الإحداث شاملا لكل مخترع مذموم، في الدين كان أو في غيره، إذ يدخل في معنى

الإحداث: الإثم وفعل المعاصي، ومنه قوله ﷺ : "من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا"[1] قال ابن حجر: "أي أحدث المعصية"[2] .

وبذلك يتبين لنا أن لفظ المحدثة ـ بهذا النظر ـ متوسط بين معنيي البدعة في اللغة والشرع، فهو أخص من معنى البدعة في اللغة، وأعم من معناها في الشرع .

فتحصل لدينا ثلاثة معان:

١.الأمر المخترع، مذموما كان أو محمودا، في الدين كان أو في غيره .

٢.الأمر المخترع المذموم، في الدين كان أو في غيره .

٣.الأمر المخترع المذموم، في الدين خاصة .

فالأول عام، وهو المعنى اللغوي للبدعة وللمحدثة .

والثاني خاص، وهو المعنى الشرعي ـ الغالب ـ للمحدثة .

والثالث أخص، وهو المعنى الشرعي للبدعة، وهو ـ أيضاً ـ المعنى الشرعي الآخر للمحدثة .

---

(١) أخرجه البخاري: ٨١/٤ برقم ١٨٧٠ ومسلم: ١٤٠/٩ .
(٢) انظر فتح الباري: ٢٨١/١٣ .

المسألة الخامسة: العلاقة بين البدعة والسنة .

يأتي نظير لفظ البدعة ـ في هذين الإطلاقين: اللغوي والشرعي ـ لفظُ السنة، وبيان ذلك:

١. بالنظر إلى المعنى اللغوي:

تأتي السنة في اللغة بمعنى البدعة في اللغة؛ إذ السنة لغة بمعنى الطريقة؛ حسنة كانت أو سيئة، فكل من ابتدأ أمراً عمل به قومٌ من بعده قيل هو سنة[1] .

فالسنة والبدعة ـ في المعنى اللغوي ـ لفظان مترادفان .

ومن الأمثلة على ورود لفظ السنة بمعناه اللغوي قول الرسول ﷺ : (من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[2] .

٢. بالنظر إلى المعنى الشرعي:

تأتي السنة بالمعنى الشرعي في مقابل البدعة بالمعنى

(١) انظر المصباح المنير: ٢٩٢ .

(٢) أخرجه مسلم: ٧/١٠٢-١٠٤ .

الشرعي؛ إذ السنة شرعا هي طريقة النبي ﷺ وأصحابه، والبدعة هي ما كان مخالفا لطريقة النبي ﷺ وأصحابه .

فالسنة والبدعة ـ في المعنى الشرعي ـ لفظان متقابلان، فمن ذلك:

قول النبي ﷺ :

(ما أحدث قوم **بدعة** إلا رفع مثلها من **السنة**، فتمسكٌ **بسنة** خير من إحداث **بدعة**)[1] .

وقوله ﷺ :

(فإن لكل عابد شرة، ولكل شرة فترة؛ فإما إلى **سنة** وإما إلى **بدعة**، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك)[2] .

المسألة السادسة: العلاقة بين البدعة والمعصية .

أ ـ وجوه اجتماع البدعة مع المعصية:

١. أن كلا منهما منهي عنه، مذموم شرعا، وأن الإثم يلحق فاعله، من هذا الوجه فإن البدع تدخل تحت جملة المعاصي[3] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ١٠٥/٤ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ١٥٨/٢ .

(٣) انظر الاعتصام: ٦٠/٢ .

وبهذا النظر فإن كل بدعة معصية، وليس كل معصية بدعة

٢. أن كـلا منهمـا متفـاوت، ليـس علـى درجـة واحـدة؛ إذ المعـاصي تنقسـم ـ باتفـاق العلمـاء ـ إلى مـا يكفَّـر بـه، وإلى كبـائر وإلى صغـائر[١] ، وكذلـك البدع؛ فإنهـا تنقسـم إلى مـا يُكفَّـر بـه، وإلى كبـائر، وإلى صغـائر[٢] .

٣. أنهما مؤذنان باندراس الشريعة وذهاب السـنة؛ فكلمـا كـثرت المعاصي والبدع وانتشرت كلما ضعفت السـنن، وكلمـا قويـت السـنن وانتشرت كلما ضعفت المعاصي والبدع، فالبدعة والمعصية ـ بهذا النظر ـ مقترنان في العصف بالهدى وإطفاء نور الحق، وهما يسيران نحو ذلـك في خطين متوازيين . يوضح هذا:

٤. أن كـلا منهمـا منـاقض لمقـاصد الشـريعة، عـائد علـى الديـن بـالهدم والبطـلان .

---

(١) انظر الجواب الكافي: ١٤٥-١٥٠

(٢) وهذا التفاوت والانقسام إنما يصح إذا نُسب بعض البدع إلى بعـض، فيمكـن إذ ذاك أن تتفاوت رتبها، لأن الصغر والكبر من بـاب النسـب والإضافـات؛ فقد يكون الشيء كبيرا في نفسه لكنه صغير بالنسبة إلى ما هو أكبر منه .
ولذا فإن صغار البدع ـ في ذاتها ـ تعد مـن الكبـائر ، وليسـت بصغـائر، وذلك بالنسبة لسائر المعاصي خـلا الشـرك . انظـر الاعتصـام: ٢/٥٧-٦٢ وسيأتي مزيد بيان لذلك في النقاط اللاحقة لهذه النقطة .

ب ـ وجوه الافتراق بين البدعة والمعصية:

١. تنفرد المعصية بأن مستند النهي عنها ـ غالبا ـ هو الأدلة الخاصة، من نصوص الوحي أو الإجماع أو القياس، بخلاف البدعة؛ فإن مستند النهي عنها ـ غالبا ـ هو الأدلة العامة، ومقاصد الشريعة، وعموم قوله ﷺ : (كل بدعة ضلالة)

٢. وتنفرد البدعة بكونها مضاهية للمشروع؛ إذ هي تضاف إلى الدين، وتلحق به، بخلاف المعصية فإنها مخالفة للمشروع، إذ هي خارجة عن الدين، غير منسوبة إليه، اللهم إلا إن فُعلت هذه المعصية على وجه التقرب، فيجتمع فيها ـ من وجهين مختلفين ـ أنها معصية وبدعة في آن واحد .

٣. وتنفرد البدعة بكونها جرما عظيما بالنسبة إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع؛ إذ حاصلها مخالفة في اعتقاد كمال الشريعة، ورمي للشرع بالنقص والاستدراك، وأنها لم تكتمل بعد، بخلاف سائر المعاصي؛ فإنها لا تعود على الشريعة بتنقيص ولا غض من جانبها، بل صاحب المعصية متنصل منها، مقر بمخالفته لحكمها .

٤. وتنفرد المعصية بكونها جرما عظيما بالنسبة إلى مجاوزة حدود الله بالانتهاك؛ إذ حاصلها عدم توقير الله في النفوس بترك الانقياد

لشرعه ودينه، وكما قيل: (لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت)[1]، بخلاف البدعة؛ فإن صاحبها يرى أنه موقر لله، معظم لشرعه ودينه، ويعتقد أنه قريب من ربه، وأنه ممتثل لأمره، ولهذا كان السلف يقبلون رواية المبتدع إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولم يكن ممن يستحل الكذب، بخلاف من يقترف المعاصي فإنه فاسق، ساقط العدالة، مردود الرواية باتفاق .

٥. ولأجل ذلك أيضاً فإن المعصية تنفرد بأن صاحبها قد يُحدِّث نفسه بالتوبة والرجوع، بخلاف المبتدع؛ فإنه لا يزداد إلا إصرارا على بدعته لكونه يرى عمله قربة، خاصة أرباب البدع الكبرى كما قال تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ وقد قال سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدع لا يتاب منها) وفي الأثر أن إبليس قال: (أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبـ"لا إله إلا الله" فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)[2] .

---

(١) انظر الجواب الكافي: ٥٨، ١٤٩-١٥٠، والاعتصام: ٢/٦٢ .

(٢) انظر المصدرين السابقين .

٦.ولذلك فإن جنس البدعة أعظم من جنس المعصية، ذلك أن "فتنة المبتدع في أصل الدين، وفتنة المذنب في الشهوة"[1]، وهذا كله إنما يطرد ويستقيم إذا لم يقترن بأحدهما قرائن وأحوال تنقله عن رتبته .

ومن الأمثلة على هذه القرائن والأحوال: أن المخالفة ــ معصية كانت أو بدعة ــ تعظم رتبتها إذا اقترن بها المداومة والإصرار عليها أو الاستخفاف بها أو استحلالها أو المجاهرة بها أوالدعوة إليها، ويقل خطرها إذا اقترن بها التستر والاستخفاء أوعدم الإصرار عليها أو الندم والرجوع عنها .

ومن الأمثلة على هذه القرائن أيضاً: أن المخالفة في ذاتها تعظم رتبتها بعظم المفسدة، فما كانت مفسدته ترجع إلى كلي في الدين فهو أعظم مما كانت مفسدته ترجع إلى جزئي فيه، وكذلك: ما كانت مفسدته متعلقة بالدين فإنه أعظم مما كانت مفسدته متعلقة بالنفس .

والحاصل أن الموازنة بين البدع والمعاصي لابد فيها من مراعاة الحال والمقام، واعتبار المصالح والمفاسد، والنظر إلى مآلات الأمور؛ فإن التنبيه على خطورة البدع والمبالغة في تعظيم

---

(١) الجواب الكافي: ٥٨ وانظر مجموع الفتاوى: ١٠٣/٢٠ .

شأنها ينبغي ألا يفضي ــ في الحال أو المآل ــ إلى الاستخفاف بالمعاصي والتحقير من شأنها، كما ينبغي أيضاً ألا يفضي التنبيه على خطورة المعاصي والمبالغة في تعظيم شأنها ــ في الحال أو المآل ــ إلى الاستخفاف بالبدع والتحقير من شأنها .

المسألة السابعة: العلاقة بين البدعة والمصلحة المرسلة[1].

أ ـ وجوه اجتماع البدعة والمصلحة المرسلة:

١ . أن كلا من البدعة والمصلحة المرسلة مما لم يعهد وقوعه في عصر النبوة، ولا سيما المصالح المرسلة، وهو الغالب في البدع إلا أنه ربما وجدت بعض البدع ـ وهذا قليل ـ في عصره ﷺ ؛ كما ورد ذلك في قصة النفر الثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ .

٢ . أن كلا من البدعة ـ في الغالب ــ والمصلحة المرسلة خال عن الدليل الخاص المعين، إذ الأدلة العامة المطلقة هي غاية ما يمكن الاستدلال به فيهما .

ب ـ وجوه الافتراق بين البدعة والمصلحة المرسلة:

١ . تنفرد البدعة في أنها لا تكون إلا في الأمور التعبدية، وما يلتحق

---

(١) انظر الاعتصام: ٢/١٢٩-١٣٥ والإبداع للشيخ علي محفوظ: ٨٣-٩٢ .

بخلاف المصلحة المرسلة؛ فإنها ـ لكي تعتبر شرعا ـ لابد أن تندرج تحت مقاصد الشريعة، وأن تكون خادمة لها، وإلا لم تعتبر .

٥. وتنفرد المصلحة المرسلة بأن عدم وقوعها في عصر النبوة إنما كان لأجل انتفاء المقتضي لفعلها، أو أن المقتضي لفعلها قائم لكن وجد مانع يمنع منه، بخلاف البدعة فإن عدم وقوعها في عهد النبوة كان مع قيام المقتضي لفعلها، وتوفر الداعي، وانتفاء المانع .

والحاصل: أن المصالح المرسلة إذا روعيت شروطها كانت مضادة للبدع، مباينة لها، وامتنع جريان الابتداع من جهة المصلحة المرسلة؛ لأنها ـ والحالة كذلك ـ يسقط اعتبارها ولا تسمى إذ ذاك مصلحة مرسلة، بل تسمى إما مصلحة ملغاة أو مفسدة .

المسألة الثامنة: خصائص البدعة .

بنظرة فاحصة في القيود الثلاثة الواردة في المعنى الشرعي للبدعة يمكننا استخراج سمات البدعة وخصائصها، تلك الخصائص التي تفترق بها البدعة عما يشتبه بها ويقترب منها . وهي أربع خصائص:

الأولى: أنه لا يوجد في النهي عن البدعة ـ غالبا ـ دليل خاص[١]، وإنما يستدل على النهي عنها والمنع منها بالدليل الكلي العام .

---

(١) يستثنى من ذلك البدع التي نُهي عنها بأعيانها، وهي قليلة جدا . انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٥٨٦-٥٨٧ .

الثانية: أن البدعة لا تكون إلا مناقضة لمقاصد الشريعة، هادمة لهـا، وهذا هو الدليل الكلي على ذمها وبطلانها، ولأجـل ذلـك وُصفـت في الحديث بأنها ضلالة .

الثالثة: أن البدعة ـ في الغالب ـ إنما تكون بفعل أمـور لم تعـرف في عهده ﷺ ولا في عهد صحابته ﷺ .

قال ابن الجوزي: "البدعة: عبارة عن فعلٍ لم يكن؛ فأُبتُدِع"[1] .

ولذا سميت البدعة بدعة؛ فإن البدعة في اللغة: الشيء الذي أحـدث على غير مثال سواء كان محمـودا أو مذمومـا، ومـن هـذا الوجـه أطلـق بعض السلف لفظ البدعة على كل أمر ـ محمـودا كـان أو مذمومـا ـ لم يحدث في عهده ﷺ ، كما ورد ذلك عن الإمام الشافعي .

الرابعة: أن البدعة مشابهة ولابد للأمور الشرعية ملتبسة بها

بيان ذلك: أن البدعة تحاكي المشروع وتضاهيه من جهتين:

١. من جهة مستندها؛ إذ البدعة لا تخلو من شبهة أو دليل موهوم، فهي تستند إلى دليل يظن أنه دليل صحيح[2]، كما أن العبادة المشـروعة تستند ولابد إلى دليل صحيح .

---

(١) تلبيس إبليس: ١٦ .

(٢) وهذا الدليل لا يخلو أن يكون واحدا من نوعين: إمـا أدلـة عامـة مطلقـة، أو أدلة خاصة واهية .

٢. من جهة هيئة العبادة المشروعة وصفتها؛ من حيث الكم أو الكيف أو الزمان أو المكان، أو من حيث الإلزام بها، وجعلها كالشرع المحتَّم .

ذكر أمور لا تشترط في البدعة:

من المستحسن بعد بيان خصائص البدعة التنبيه على أمور قد يظن أنها من خصائص البدعة وليست كذلك، فمن ذلك:

١) لا يشترط في البدعة ألا يوجد لها بعض الفوائد، بل قد توجد لبعض البدع بعض الفوائد، إذ ليست البدع من قبيل الباطل الخالص الذي لا حق فيه، ولا هي من الشر المحض الذي لا خير فيه .

وهذه الفوائد التي قد توجد في بدعة من البدع لا تجعلها مشروعة، ذلك لأن الجانب الغالب في البدعة هو المفسدة، وأما جانب الفائدة والمنفعة فهو مرجوح؛ فلا يبنى عليه ولا يلتفت إليه .

قال ابن تيمية: "بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضاً فوائد، وذلك لأنه لابد أن تشتمل عبادتهم على نوع ما، مشروع من جنسه، كما أن أقوالهم لابد أن تشتمل على صدق ما، مأثور عن الأنبياء ثم مع ذلك لا يوجب ذلك أن نفعل عباداتهم أو نروي كلماتهم .

لأن جميع المبتدعات لابد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير، إذ لو كان خيرها راجحا لما أهملتها الشريعة .

فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها، وذلك هو الموجب للنهي، وأقول: إن أثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض: لاجتهاد أو غيره"[1] .

٢) لا يشترط في البدعة أن تُفعل على وجه المداومة والتكرار، بل إن الشيء قد يُفعل مرة واحدة دون تكرار ويكون بدعة، وذلك كالتقرب إلى الله بفعل المعاصي أو بالعادات .

٣) لا يشترط في البدعة أن تُفعل مع قصد القربة والتعبد، بل إن الشيء ربما كان بدعة دون هذا القصد، فلا يشترط ـ مثلا ـ قصد القربة في البدع الحاصلة من جهة الخروج على نظام الدين؛ كالتشبه بالكافرين، ولا في الذرائع المفضية إلى البدعة، إلا أن غالب البدع ـ خاصة في باب العبادات ـ تجري من جهة قصد القربة .

٤) لا يشترط في البدعة أن يتصف فاعلها بسوء المقصد وفساد النية، بل قد يكون المبتدع مريدا للخير، ومع ذلك فعمله يوصف بأنه

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٦٠٩-٦١٠، ٧٥٩ .

بدعة ضلالة، كما ورد ذلك في أثر ابن مسعود ﷺ حيث قال: "وكم من مريد للخير لن يصيبه"[1].

٥) لا يشترط في البدعة أن تخلو عن دلالة الأدلة العامة عليها، **بل قد تدل الأدلة العامة المطلقة على شرعها من جهة** العموم، ولا يكون ذلك دليلا على مشروعيتها من جهة الخصوص؛ إذ أن ما شرعه الله ورسوله ﷺ بوصف العموم والإطلاق لا يقتضي أن يكون مشروعا بوصف الخصوص والتقييد، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ فإنه لا يقتضي بعمومه مشروعية الأذان للعيدين على وجه الخصوص .

* * *

(١) قال ذلك ﷺ حين رأى قوما في المسجد يجلسون حلقا، وفي كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة . أخرجه الدارمي في سننه: ١/٦٨-٦٩ .

الأصل الثاني: الخروج على نظام الدين .

ويندرج تحت هذا الأصل ثمان قواعد كلية

بيان ذلك:

أن الانقياد والخضوع لدين الله يحصل بالتسليم التام لهذا الدين في أصوله وفي أحكامه .

أما التسليم التام لهذا الدين **في أصوله فمخالفته** تحصل بإحداث أصول واعتقادات؛ إما لكونها معارضة لنصوص الوحي، أو لكونها غير مأثورة في هذه النصوص، ويلحق بذلك: أن تجعل أصول هذا الدين محل جدل وخصومة مما يفضي ــ في الغالب ــ إلى الاعتراض عليها، فهذه ثلاث قواعد كلية تتعلق بأصول الدين .

وأما التسليم التام لهذا الدين **في أحكامه فمخالفته** تحصل بإحداث أحكام وشرائع إما لكونها تغييراً وتبديلا لبعض شرائع الدين المقررة، وإما لكونها زيادة واستدراكاً على أحكام الله وشرعه بحيث يُفرض على الناس اتباعها والالتزام بها، فهاتان قاعدتان كليتان تتعلقان بأحكام هذا الدين، **فتحصل مما سبق خمس قواعد كلية**

ومن مقتضيات التسليم التام لهذا الدين ترك مشابهة أعدائه الكافرين، **ومخالفة هذا المقتضى تحصل** بمشابهتهم؛ إما في خصائصهم العبادية والعادية، وإما في غير خصائصهم من المحدثات التي استحدثوها، ويلحق بمشابهة الكافرين الإتيان بشيء من أعمال الجاهلية، فهذه ثلاث قواعد كلية .

وإليك فيما يأتي بيان هذه القواعد:

القاعدة الحادية عشرة (١١)

كل ما كان من الاعتقادات والآراء والعلوم معارضا لنصوص الكتاب والسنة، أومخالفا لإجماع سلف الأمة فهو بدعة[(١)] .

ومما يدخل تحت هذه القاعدة الصور الثلاث الآتية:

الصورة الأولى: اتخاذ الرأي أصلا مُحْكما وجعله مقطوعا به، وعرْض النصوص السمعية على هذا الأصل، فما وافقه قُبل، وما خالفه رُدَّ . وهذا متضمن إما للتفويض أوللتأويل أو للتعطيل .

قال ابن تيمية: "فأما معارضة القرآن بمعقول أو قياس فهذا لم يكن يستحله أحد من السلف .

وإنما اُبْتُدع ذلك لما ظهرت الجهمية والمعتزلة ونحوهم ممن بنوا أصول دينهم على ما سموه معقولا وردوا القرآن إليه، وقالوا: إذا تعارض العقل والشرع إما أن يفوض أو يتأول، فهؤلاء من أعظم المجادلين في آيات الله بغير سلطان أتاهم"[(٢)] .

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١٠٥٢ ودرء التعارض: ٢٠٨/١، ٢٠٩ وإعلام الموقعين: ٦٧/١ والاعتصام: ١٠١/١-١٠٦ وفضل علم السلف على علم الخلف: ٣٩-٤٤ وأحكام الجنائز: ٢٤٢ .

(٢) الاستقامة: ٢٣/١ .

وقال ابن أبي العز: "بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته وما ظنه معقولا، فما وافقه قال: إنه محكم، وقبله واحتج به، وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم ردّه، وسمى ردَّه تفويضا، أو حرَّفه، وسمى تحريفه تأويلا، فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم"[١] .

والرأي المعارض للنصوص يكون تارة في مسائل الاعتقاد وأصول الدين، ويكون تارة أخرى في أصول الفقه وقواعده وفروعه .

فمن النوع الأول:

البدع المحدثة في الاعتقاد كرأي جهم وغيره من أهل الكلام؛ لأنهم قوم استعملوا قياساتهم وآراءهم في رد النصوص[٢]

قال الذهبي[٣]: "فأول ذلك بدعة الخوارج حتى قال أولهم للنبي ﷺ : (اعدل)[٤] .

فهؤلاء يصرحون بمخالفة السنة المتواترة ويقفون مع الكتاب فلا يرجمون الزاني ولا يعتبرون النصاب في السرقة، فبدعتهم تخالف السنة المتواترة" .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٣٩٩ .

(٢) انظر إعلام الموقعين: ٦٨/١ .

(٣) انظر كلام الذهبي كله في التمسك بالسنن له:١٠١-١٠٤ .

(٤) أخرجه البخاري: ٦١٧/٦ برقم ٣٦١٠ .

وقال: "ثم ظهر في حدود السبعين بدعة القدر؛ كذبوا بالعلم أوبالمشيئة العامة، وذلك مخالف للكتاب والسنة" .

وقال: "ثم وجدت بدعة الجهمية والكلام في الله فأنكروا الكلام والمحبة وأن يكون كلّم موسى أو اتخذ إبراهيم خليلا أو أنه على العرش استوى، وذلك مخالف للنصوص" .

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً:

أن بعض الطوائف يردون الأحاديث "التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدّعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل؛ فيجب ردها: كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة .

وكذلك حديث الذباب وقتله، وأنَّ في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وأنه يقدم الذي فيه الداء، وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺ بسقيه العسل، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول"[1] .

ومن النوع الثاني:

القواعد والضوابط المحدثة في الفقه وأصوله المتضمنة رد نصوص الوحي إليها .

---

(١) الاعتصام: ٢٣١/١ .

ومن الأمثلة على ذلك:

أ) القول بالتحسين والتقبيح العقليين[1] .

ب) الاقتصار على كتاب الله وإنكار العمل بالسنة مطلقا[2] .

ج) القول بترك العمل بخبر الواحد[3] .

د) ما ذكره الشاطبي، إذ قال: "وربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم ـ وحاشاهم ـ وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم .

كل ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذهب .

وربما ردوا فتاويهم وقبّحوها في أسماع العامة؛ لينفّروا الأمة عن اتباع السنة وأهلها"[4] .

هـ) ما ذكره ابن رجب، إذ يقول: "ومن ذلك ــ أعني محدثات العلوم ـ ما أحدثه فقهاء الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها سواء أخالفت السنة أم وافقتها طردا لتلك القواعد المقررة،

---

(١) انظر الاعتصام: ١/١٤٤، ٢/٩٩ والإبداع للشيخ علي محفوظ: ٦١ .

(٢) انظر الاعتصام: ١/١٠٩-١١٠ والإبداع للشيخ علي محفوظ: ٦١، ٦٢ .

(٣) انظر المصدر السابق: ١/١٠٩، ٢٣٢-٢٣٦، ٢/٩٩ والإبداع للشيخ علي محفوظ: ٦٢، ٦٣ .

(٤) الاعتصام: ١/٢٣١-٢٣٢ . وانظر منه: ١/٢٤٦-٢٤٨ .

وإن كان أصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة لكن بتـأويلات يخالفهم غيرهم فيها"[١] .

الصورة الثانية: الإفتاء في دين الله بغير علم .

قال الشاطبي: "فكل من اعتمد على تقليد قول غير محقق، أو رجـح بغير معنى معتبر فقد خلع الربقة واستند إلى غـير شـرع عافانـا الله مـن ذلك بفضله .

فهذه الطريقة في الفتيا من جملة البـدع المحدثـات في ديـن الله تعـالى كما أن تحكيم العقل على الدين مطلقا محدث"[٢]

وقال أيضاً: "زيادة إلى القول بالرأي غير الجاري علـى العلـم، وهـو بدعة أو سبب إلى البدعة...

وهو الذي بيَّنه النبي ﷺ بقوله: (حتـى إذا لم يبـق عـالم اتخـذ النـاس رؤساء جهالا، فسألوا فأفتوا بغير علـم فضلـوا وأضلـوا)[٣] وإنمـا ضلـوا لأنهم أفتوا بالرأي، إذ ليس عندهـم علم"[٤] .

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف: ٤٧ .

(٢) الاعتصام: ١٧٩/٢ .

(٣) أخرجه البخاري: ١٩٤/١ برقم ١٠٠ ومسلم: ٢٢٣/١٦-٢٢٥ وقد تقدم

(٤) الاعتصام: ٨١/٢ .

ويقرب من هذه الصورة:

. **الصورة الثالثة، وهي:** استعمال الرأي في الوقائع قبل أن تنزل، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات؛ لأن في الاشتغال بهذا تعطيلا وتركا للسنن وذريعة إلى جهلها[1] .

وفي ذلك يقول الشاعر[2]:

قد نقَّر الناس حتىٰ أحدثوا بدعا
في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل

حتى استخف بدين الله أكثرهم
وفي الذي حُمِّلوا من دينه شغل

توضيح القاعدة:

هذه القاعدة خاصة بالاعتقادات والآراء والعلوم التي أُحدثت في **دين الإسلام من جهة أهله الذين ينتسبون إليه،** فلا يدخل تحت هذه القاعدة ـ بهذا النظر ـ اعتقادات الملاحدة والكافرين وآراؤهم وعلومهم وإن كانت معارضة لدين الإسلام .

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١٠٥٤ وإعلام الموقعين: ٦٩/١ والاعتصام: ١٠٣/١، ١٠٤ ٢/ ٣٣٥ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ٩٥٠/٢ .

وبيان هذه القاعدة مرتبط بمعرفة أصل عظيم من أصول هذا الدين، ألا وهو وجوب التسليم التام للوحي وعدم الاعتراض عليه .

قال ابن تيمية: "... فلهذا كانت الحجة الواجبة الاتباع: الكتاب والسنة والإجماع، فإن هذا حق لا باطل فيه، واجب الاتباع، لا يجوز تركه بحال ... وليس لأحد الخروج عن شيء مما دلت عليه"[١] .

والمعارضة لما جاء به الوحي تشمل: معارضته بالآراء والمعتقدات، **وبالأقوال وبالأعمال**

وهذه القاعدة متعلقة ببيان معارضة الوحي بالاعتقادات والآراء والأقوال، أما ما يتعلق بمعارضته بالأعمال فسيأتي بيانه في القاعدتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة .

وإليك فيما يأتي كلام بعض أهل العلم في تقرير هذه القاعدة:

قال الشافعي: "والبدعة: ما خالف كتابا أو سنة أو أثرا عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ "[٢] .

وقال ابن تيمية: "وما خالف النصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين"[٣] .

وقال الشاطبي: "والرأي إذا عارض السنة فهو بدعة وضلالة"[٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٩/٥ .
(٢) إعلام الموقعين: ١/٨٠ .
(٣) مجموع الفتاوى: ٢٠/١٦٣ .
(٤) الاعتصام: ٢/٣٣٥ .

القاعدة الثانية عشرة (١٢)

ما لم يرد في الكتاب والسنة ولم يؤثر عن الصحابة ﷺ والتابعين من الاعتقادات فهو بدعة[١] .

ومما يدخل تحت هذه القاعدة ما يأتي:

١) علم الكلام[٢] .

فقد نقل ابن عبد البر **الإجماع على أن أهل الكلام مبتدعة** فقال:

"أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالاتقان والميز والفهم"[٣] .

---

(١) انظر أحكام الجنائز: ٢٤٢ .

(٢) المراد بالكلام الذي ذمَّه أئمة السلف ونهوا عن الخوض فيه: الكلام في الدين على غير طريقة المرسلين .

ومن هنا أمكن تعريف علم الكلام بأنه: إثبات أمور العقائد بالأدلة العقلية والطرق الجدلية مع الإعراض عما في القرآن والسنة من الأدلة العقلية الدالة على أصول الدين .

انظر مجموع الفتاوى: ١١/٣٣٥-٣٣٦، ١٢/٤٦٠-٤٦١، ١٩/١٦٣ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله: ٢/٩٤٢ .

وإليك فيما يأتي شذ ات من أقوال أئمة السلف تقرر ذلك:

قال مالك: "لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل"(١) .

وقال أحمد: "وكل من أحدث كلاما لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير"(٢) .

وقال البربهاري: "وما كانت قط زندقة ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس .

وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة"(٣) .

وقيل لعبد الرحمن بن مهدي: إن فلانا صنَّف كتابا يرد فيه على المبتدعة . قال: بأي شيء ؟ بالكتاب والسنة ؟ قال: لا . لكن بعلم المعقول والنظر . فقال: أخطأ السنة، وردَّ بدعة ببدعة"(٤) .

وعلم الكلام يشمل المسائل والدلائل، والابتداع حاصل فيهما .

قال ابن أبي العز: "وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع"(٥) .

---

(١) صون المنطق والكلام: ٥٧ والأمر بالاتباع: ٧٠ .

(٢) الإبانة الكبرى: ٥٣٩/٢ .

(٣) شرح السنة: ٥٥ .

(٤) صون المنطق والكلام: ١٣١ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية: ٥٩٣ .

أ. فمن المسائل المبتدعة: القول بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد إلى النظر[1] .

ب. ومن الدلائل المبتدعة: الاستدلال بطريقة الأعراض وحدوثها على إثبات الصانع[2] .

٢) الطرق الصوفية .

ذلك أن الصوفية "في كثير من الأمور يستحسنون أشياء لم تأت في كتاب ولا سنة، ولا عمل بأمثالها السلف الصالح، فيعملون بمقتضاها، ويثابرون عليها، ويُحَكِّمونها طريقا لهم مهيعا، وسنة لا تخلف، بل ربما أوجبوها في بعض الأحوال"[3] .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الشاطبي حيث يقول:

"ومن ذلك: أشياء ألزموها المريد حالة السماع، من طرح الخرق، وإن من حق المريد ألا يرجع في شيء خرج منه البتة، إلا أن يشير عليه الشيخ بالرجوع فيه، فليأخذه على نية العارية بقلبه، ثم يخرج عنه بعد ذلك من غير أن يوحش قلب الشيخ، إلى أشياء اخترعوها في ذلك لم يعهد مثلها في الزمان الأول"[4] .

---

(١) انظر المصدر السابق: ٧٤-٧٥ .

(٢) انظر درء التعارض: ٣٠٨-٣١٠

(٣) الاعتصام: ١/٢١٢ .

(٤) الاعتصام: ١/٢١٦ .

قال ابن رجب: "ومما أحدث من العلوم: الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الرأي والذوق أو الكشف، وفيه خطر عظيم . وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره "[1] .

٣) التعرض للألفاظ المجملة بالإثبات أو النفي بإطلاق . كلفظ (الجهة) و(الجسم) و(العرض) .

وقال ابن تيمية: "فلم ينطق أحد منهم [أي السلف] في حق الله بالجسم لا نفيا ولا إثباتا، ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك؛ لأنها عبارات مجملة لا تحق حقا ولا تبطل باطلا... بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي أنكره السلف والأئمة"[2] .

أما طريقة السلف في التعامل مع الألفاظ المجملة فقد بيَّنها ابن أبي العز بقوله: "والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي: فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني .

وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف: ٦١ وانظر مجموع الفتاوى: ١١/١٥

(٢) مجموع الفتاوى: ٣/٨١ .

يُنظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحا قُبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند **الحاجة**، مع **قرائن** تبين المراد .

والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطَب بها، ونحو ذلك"[1] .

وبهذا يعلم أن من"السنة اللازمة: السكوتَ عما لم يرد فيه نص عن الله ورسوله أو يتفق عليه المسلمون على إطلاقه، وترْكَ التعرض لها بنفيٍ أو إثبات، فكما لا يُثبت إلا بنص شرعي فكذلك لا يُنفى إلا بدليل سمعي"[2]

توضيح القاعدة:

هذه القاعدة خاصة بأمور العقيدة التي لم يرد ذكر لها في نصوص الكتاب والسنة، واتفق الصحابة والتابعون على ترك الكلام عليها .

وهي صنو القاعدتين: الثالثة والرابعة الخاصتين بالعبادات التي لم ينقل فعلها عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة أو التابعين .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٢٣٩ وانظر منه: ١٠٩-١١٠ .

(٢) عقيدة الحافظ عبد الغني: ١١٣ .

ولهذه القاعدة أهمية بالغة في إبطال البدع والرد على أهلها، حيث اعتمد أئمة السلف - كثيرا - على هذه القاعدة في مناظراتهم للمبتدعة والرد عليهم .

فمن ذلك: أن الإمام الشافعي قال لبشر المريسي: (أخبرني عما تدعو إليه؟ أكتاب ناطق وفرض مفترض وسنة قائمة ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال) فقال بشر: (لا إلا أنه لا يسعنا خلافه) فقال الشافعي: (أقررت بنفسك على الخطأ . . .)[1] .

وقال الإمام أحمد لابن أبي دؤاد يسأله: (خبِّرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه: أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ) قال: (لا ...) قال: (ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه؛ فإن قلتَ علموه وسكتوا عنه وسعنا وإياك من السكوت ما وسع القوم، وإن قلتَ: جهلوه وعلمتَه أنت فيا لكع بن لكع يجهل النبي ﷺ والخلفاء الراشدون ﷺ شيئا وتعلمه أنت وأصحابك)[2] .

وإليك فيما يأتي ما يقرر هذه القاعدة من كلام أهل العلم:

١.قال سعيد بن جبير: "ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين"[3] .

---

(١) انظر صون المنطق والكلام: ٣٠ .
(٢) انظر الشريعة: ٦٣ .
(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٧٧١/١ برقم ١٤٢٥ وانظر مجموع الفتاوى: ٥/٤ وقد تقدم .

٢. قال مالك بن أنس: "إياكم والبدع، فقيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"(١) .

٣. قال الشافعي: "كل من تكلم بكلام في الدين أو في شيء من هذه الأهواء ليس له فيه إمام متقدم من النبي ﷺ وأصحابه فقد أحدث في الإسلام حدثا"(٢) .

٤. قال بعض السلف: "ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء، وما سكت عنه السلف فالكلام فيه بدعة"(٣) .

٥. قال البربهاري: "واعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور، و لم يجاوزوها بشيء، و لم يولدوا كلاما مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه لم تكن بدعة"(٤) .

---

(١) أخرجه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة: ١/١٠٣-١٠٤ وانظر شرح السنة للبغوي: ١/٢١٧ والعين والأثر: ٦١ والأمر بالاتباع: ٧٠ وصون المنطق والكلام: ٥٧ .

(٢) صون المنطق والكلام: ١٥٠ .

(٣) صون المنطق والكلام: ١٣١ .

(٤) شرح السنة: ٤٦ .

القاعدة الثالثة عشرة (١٣)

الخصومة والجدال والمراء في الدين بدعة .

ومما يدخل تحت هذه القاعدة ما يأتي:

١) السؤال عن المتشابهات .

ومن الأمثلة على ذلك: **قصة صبيغ** الذي كان يسأل عن المتشابهات، فلما بلغ عمر ﷺ ذلك أمر به فضُرب ضربا شديدا، وبَعث به إلى البصرة، وأمرهم ألا يجالسوه، فكان بها كالبعير الأجرب: لا يأتي مجلسا إلا قالوا: (عزمة أمير المؤمنين) فتفرقوا عنه، حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئا، فأذن عمر في مجالسته، فلما خرجت الخوارج أُتي، فقيل له: هذا وقتك . فقال: لا، نفعتني موعظة العبد الصالح[1] .

ومن ذلك أيضاً: **ما ورد عن الإمام مالك** لما جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟

فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى: ٣/٤، ٤ . والأثر أخرجه الدارمي: ١/٥٤، ٥٥ وابن بطة في الإبانة الكبرى: ١/٤١٤-٤١٥ برقم ٣٢٩-٣٣٠ .

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ فإني أخاف أن تكون ضالا، وأمر به فأُخرج[1] .

قال ابن تيمية: "لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه"[2] .

وقال أيضاً: "هذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات، مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها"[3] .

ومعلوم أن أسماء الله وصفاته وأفعاله من جهة كيفيتها من المتشابه الذي يجب الإيمان به والكف عن الخوض فيه، كما قال تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ .

٢) امتحان المسلمين بما ليس في الكتاب والسنة من المسائل والآراء .

---

(١) أخرجه اللالكائي في السنة: ٣/٤٤١ برقم ٦٦٤ وقال ابن حجر: "وأخرج البيهقي بسند جيد ..." فتح الباري: ١٣/٤٠٦-٤٠٧ وقال ابن تيمية: "وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا ومرفوعا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه" مجموع الفتاوى: ٥/٣٦٥ وروي أيضاً عن ربيعة شيخ مالك . انظر السنة للالكائي: ٣/٤٤١ برقم ٦٦٥ .

(٢) مجموع الفتاوى: ٣/٢٥ .

(٣) المصدر السابق: ٤/٤ .

قال البربهاري: "والمحنة في الإسلام بدعة، وأما اليوم فيمتحن بالسنة لقوله: إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم"[1] .

ومن الأمثلة على ذلك: ما أشار إليه ابن تيمية بقوله: "فالواجب الاقتصار في ذلك، والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية، وامتحان المسلمين به؛ فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة .

فإنه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة، وأنه من أكابر الصالحين وأئمة العدل، وهو خطأ بيِّن"[2] .

٣) التعصب والانتساب الذي يفرِّق الأمة، وعقْد الموالاة والمعاداة على هذه النسبة .

قال ابن تيمية: "ولا ينصب لهم كلاما يوالى عليه ويعادى غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة؛ بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرِّقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"[3] .

"وكذلك التفريق بين الأمة، وامتحانُها بما لم يأمر الله به ولا رسوله؛ مثل أن يقال للرجل: (أنت شكيلي أو قرفندي) فإن

---

(١) شرح السنة: ٥٥ .

(٢) مجموع الفتاوى: ٤١٤/٣ .

(٣) مجموع الفتاوى: ١٦٤/٢٠ وانظر منه: ١٤٦/٤، ٥١٤/١١ .

هـذه أسماء باطلـة مـا أنـزل الله بهـا مـن سـلطان، وليـس في كتـاب الله، ولا سـنة رسـوله ﷺ، ولا في الآثـار المعروفـة عـن سـلف الأئمـة: لا شـكيلي ولا قرفنـدي .

والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلـك أن يقـول: لا أنـا شـكيلي ولا قرفندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله .

وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان: أنه سأل عبد الله بـن عبـاس رضي الله عنهما فقال: أنت على ملة علي أو ملة عثمان؟

فقال: لست على ملـة علـي، ولا علـى ملـة عثمـان، بـل أنـا علـى ملـة رسـول الله ﷺ[1] .

وكذلك كان كل من السلف يقولون: كل هذه الأهواء في النار .

ويقول أحدهم: ما أبالي أي النعمتـين أعظـم؛ علـى أن هدانـي الله للإسلام، أو أن جنبني هذه الأهواء .

والله تعالى قد سمّانا في القرآن: المسلمين، المؤمنـين، عبـاد الله، فـلا نعدل عن هذه الأسماء التي سمّانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم ـ وسموهـا هم وآباؤهم ـ ما أنزل الله بها من سلطان"[2]

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى: ١/٣٥٤، ٣٥٥ برقم ٢٣٧، ٢٣٨ .

(٢) مجموع الفتاوى: ٣/٤١٥ .

٤) رمي واحد من المسلمين بالكفر أو البدعة دون بيِّنة .

قال ابن بطة: "والشهادة بدعة، والبراءة بدعة، والولاية بدعة .

والشهادة: أن يشهد لأحد ممن لم يأت فيه خبر أنه من أهل الجنة أو النار .

والولاية: أن يتولى قوما ويتبرأ من آخرين

والبراءة: أن يبرأ من قوم هم على دين الإسلام والسنة"[١] .

وقد مثَّل لذلك ابن تيمية فقال:

"وأول من ضل في ذلك هم الخوارج المارقون، حيث حَكَموا لنفوسهم بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنته، وأنَّ عليا ومعاوية والعسكرين هم أهل المعصية والبدعة، فاستحلوا ما استحلوه من المسلمين"[٢] .

توضيح القاعدة:

هذه القاعدة خاصة بالجدال في باب العقيدة وأصول الدين، وبذلك يخرج الجدال في باب الفقه والأحكام الفرعية .

---

(١) الشرح والإبانة: ٣٤١ . وانظر الاستقامة لابن تيمية: ١/١٣-١١٦

(٢) الاستقامة: ١/١٣ .

والفرق بين هذين البابين يوضحه الشافعي بقوله:

"إياكم والنظر في الكلام؛ فإن رجلا لو سُئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها، أو سُئل عن رجل قتل رجلا فقال: ديته بيضة؛ كان أكثر شيء أن يُضحك منه، ولو سُئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نُسب إلى البدعة"[1] .

وبهذا يعلم أن الجدال في أصول الدين إذا لم يكن في ذاته بدعة فهو مفض إليها .

قال بعض السلف: "إذا جلس الرجلان يختصمان في الدين فليعلما أنهما في أمر بدعة حتى يفترقا"[2] .

وقال بعض الأئمة: "والسنة إنما هي التصديق لآثار رسول الله ﷺ وترك معارضتها بكيف ؟ ولِمَ ؟

والكلام والخصومات في الدين والجدال محدث، وهو يوقع الشك في القلوب ويمنع من معرفة الحق والصواب"[3] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١١٣/٩ وانظر مناقب الإمام الشافعي للرازي: ١٠٠ .

(٢) الإبانة الكبرى: ٥٢٠/٢ .

(٣) الحجة في بيان المحجة: ٤٣٧/٢ .

قال ابن القيم: " الأحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة، هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة .

كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدَّرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك . فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وُضع عليه .

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له: زمانا ومكانا وحالا؛ كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوِّع فيها بحسب المصلحة"[1] .

القاعدة السادسة عشرة (١٦)

مشابهة الكافرين فيما كان من خصائصهم من عبادة أو عادة أو كليهما بدعة[2] .

ومن الأمثلة على ذلك[3]:

الامتناع من أكل الشحوم وكل ذي ظفر على وجه التدين تشبها بالكافرين .

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/٣٣٠-٣٣١ وانظر إعلام الموقعين: ٤/٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) انظر أحكام الجنائز: ٢٤٢ .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٤٢٢ والأمر بالاتباع: ١٤١، ١٤٦ .

ومن ذلك: موافقة الكافرين في أعيادهم ومواسمهم

قال الذهبي: "أما مشابهة الذمة في الميلاد والخميس والنيروز فبدعة وحشة"[1] .

توضيح القاعدة:

هذه القاعدة والتي تليها خاصتان بنوع معين من المحرمات، وهو مشابهة الكافرين .

ويدخل تحت هذه المشابهة أمران:

الأمر الأول: مشابهة الكافرين في خصائصهم دون ما أحدثوه، وبيان هذا في هذه القاعدة .

قال ابن تيمية: "وأصل آخر، وهو أن كل ما يشابهون فيه من عبادة أو عادة أو كليهما هو من المحدثات في هذه الأمة، ومن البدع؛ إذ الكلام فيما كان من خصائصهم ...

فجميع الأدلة الدالة من الكتاب والسنة والإجماع على قبح البدع وكراهتها: تحريما أو تنزيها؛ تندرج هذه المشابهات فيها؛ فيجتمع فيها: أنها بدع محدثة، وأنها مشابهة للكافرين، وكل واحد من الوصفين موجب للنهي"[2] .

---

(١) التمسك بالسنن: ١٣٠ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٤٢٣، ٤٢٤ .

والأمر الثاني: مشابهة الكافرين فيما أحدثوه مما ليس في دينهم، وبيان هذا في القاعدة التالية لهذه القاعدة .

والابتداع يقع بمشابهة الكافرين من جهة كونه خروجا على نظام الدين لأن التشبه بالكافرين أصل دروس الدين وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي، كما أن المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم أصل كل خير .

ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار فكيف إذا جمعت بين الوصفين![1]

ومن هنا كانت مخالفة الكافرين أمراً مقصوداً شرعا؛ إذ المقصود من إرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة[2] .

يوضح ذلك أن اليهود عرفوا باستحلال المحرمات وارتكابها بالحيل الباطلة، كما أن النصارى عرفوا بالغلو والزيادة في الدين على الحد المشروع، وكلا هذين الأمرين بدعة أو ذريعة إلى البدعة .

ولهذا كان السلف يقولون: "إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى"[3] .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٣١٠، ٤٢٤ .
(٢) انظر المصدر السابق: ١/١٧٣، ١٨٢ والأمر بالاتباع: ١٥٠
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٦٧ .

ومما لا يدخل تحت مشابهة الكافرين أمران[1]:

أ ـ ما كان مشروعا في الشريعتين، أو ما كان مشروعا لنا وهم يفعلونه، كصوم عاشوراء أو أصل الصلاة والصيام، فهنا تقع المخالفة في صفة العمل وكيفيته .

ب ـ ما لا يتصور فيه اختصاصهم به مما تقتضيه طبيعة الحياة واستقامة المعاش من العادات والصناعات .

القاعدة السابعة عشرة (١٧)

مشابهة الكافرين فيما أحدثوه مما ليس في دينهم من العبادات أو العادات أو كليهما بدعة[2] .

ومن الأمثلة على ذلك:

ما ذكره الآجري، إذ قال: "أكثر هذه الأمة، والعام منها تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين أو سنن كسرى وقيصر أو سنن الجاهلية، وذلك مثل السلطنة وأحكامهم في العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية والأكل والشرب والولائم والمراكب والخدام والمجالس والبيع والشراء والمكاسب"[3] .

---

(١) انظر المصدر السابق: ١/٤٢٠-٤٢٣

(٢) انظر الأمر بالاتباع: ١٥١ .

(٣) الشريعة: ٢٠ .

ومن ذلك: تقليد الكافرين فيما يسمى بالموضات والموديلات التي عمَّ بها البلاء في هذا العصر، ولا حول ولا قوة إلا با لله .

ومن ذلك أيضاً: موافقتهم في الاحتفال بالأعياد التي **استحدثوها** ولم تكن مشروعة في دينهم[1] ، كعيد الأم ويوم الصحة .

تنبيه مهم: مشابهة الكافرين في شيء من أعياد هم ولو كان العيد موسما دنيويا محضا تندرج تحت مشابهتهم في أمور الدين؛ ذلك أن العيد يجتمع فيه أنه شريعة وشعيرة، عبادة وعادة في آن واحد .

قال ابن تيمية: "العيد المشروع يجمع عبادة، وهو ما فيه من صلاة أو ذكر أو صدقة أو نسك، ويجمع عادة، وهو ما يفعل فيه من التوسع في الطعام واللباس"[2] .

ويكفيك بيانا لذلك أن تتأمل المفاسد المترتبة على مشابهة الكافرين عموما، ومشابهتهم في أعيادهم خصوصا، وهذا ما سيأتي التنبيه عليه في خاتمة هذه القاعدة .

توضيح القاعدة:

هذه القاعدة تتعلق بمشابهة الكافرين في المحدثات التي أحدثوها، **والابتداع في هذا النوع من المشابهة يحصل من جهتين:** من جهة كونها محدثات بالنسبة للكافرين، ومن جهة كونها مشابهة .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٤٢٣/١ والأمر بالاتباع: ١٥١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٤٢٢/١ .

قال ابن تيمية: "... فإنه لو أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحا فكيف إذا كان مما لم يشرعه نبي قط، بل أحدثه الكافرون، فالموافقة فيه ظاهرة القبح، فهذا أصل"[1] .

وبهذا يعلم أن مشابهة الكافرين فيما أحدثوه **يُنهى عنها من ثلاث جهات:** من جهة كونها محدثة في دينهم، ومن جهة كونها مشابهة، ومن جهة كونها محدثة في دين الإسلام .

تنبيهات حول مشابهة الكافرين:

التنبيه الأول: أن الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والآثار والاعتبار قد دلت على أن التشبه بالكافرين في الجملة منهي عنه، وأن مخالفتهم في هديهم مشروع: إما إيجابا وإما استحبابا بحسب المواضع .

مع أن هناك أمورا خصتها السنة بعينها بالنهي؛ كحلق اللحية وإعفاء الشارب .

التنبيه الثاني: أن مخالفة الكافرين من المقاصد الشرعية، ولذا فإن النهي عن مشابهة الكافرين يعم ما إذا قُصدت مشابهتهم أو لم تقصد .

ذلك أن مشابهة الكافرين ـ بقصد أو بدون قصد ـ تترتب عليها مفاسد اعتقادية وعملية . بيان ذلك في الآتي:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٤٢٣ .

التنبيه الثالث: في ذكر بعض المفاسد المترتبة على مشابهة الكافرين عموما وعلى مشابهتهم في أعيادهم خصوصا:[1]

١. **أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين** المتشابهين في الباطن على وجه المسارقة والتدريج الخفي، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، وهكذا .

٢ **أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر** حتى يرتفع التميز، فيزول الحاجز النفسي بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، وينصرم بذلك عقد الموالاة والمعاداة .

٣. أن التشبه بالكافرين من أسباب سخط الله، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : (اجتنبوا أعداء الله في عيدهم؛ فإن السخط ينزل عليهم)[2] .

ذلك أن أعيادهم معصية لله، فهي إما محدثة أو منسوخة، والمسلم لا يقر على واحد منهما[3] .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٧٩-٨١، ٤٧١-٤٩٠ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٩/٢٣٤ .

(٣) انظر الأمر بالاتباع: ١٥٠ .

٤. أن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل؛ فيرون المسلمين قد صاروا فرعا لهم في خصائص دينهم، وذلك يوجب قوة قلوبهم وانشراح صدورهم، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء .

٥. أن الأعياد والمواسم في الجملة لها منفعة عظيمة في دين الخلق ودنياهم كانتفاعهم بالصلاة والزكاة والصيام والحج، ولهذا جاءت بها كل شريعة، كما قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ .

ومما يلحق بمشابهة الكافرين:

القاعدة الثامنة عشرة (١٨)

الإتيان بشيء من أعمال الجاهلية، التي لم تشرع في الإسلام بدعة .

والمراد بالجاهلية ــ كما يقول ابن تيمية ــ "ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها"[(١)] .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٣٩٨ . وانظر منه: ١/٢٢٦، ٢٢٧ .

ومن الأمثلة على ذلك:

١. ما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)[١] .

٢. ما جاء في سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال: (لا عقر في الإسلام) .

"وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد، يقولون: نجازيه على فعله؛ لأنه كان يعقرها في حياته فيطعمها الأضياف، فنحن نعقرها على قبره؛ ليأكلها الطير والسباع فيكون مطعما بعد مماته كما كان مطعما في حياته"[٢] .

٣. إقامة الولائم ودعوة الناس إليها ابتهاجا وفرحا؛ يُفعل هذا استقبالا للمولود الذكر دون الأنثى، وهذا الصنيع فيه موافقة ظاهرة لأهل الجاهلية؛ فقد كانوا يستبشرون بالذكر ويحتفون به ويحتفلون له ﴿وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّر به﴾ .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٢٠٤-٢٠٧ . والحديث أخرجه مسلم: ٦/٢٣٥ .

(٢) الحوادث والبدع: ١٧١ .

توضيح القاعدة:

هـذه القـاعدة خاصـة بأعمـال الجاهليـة المخالفــة لهـدي الإســلام وشــرعته، وهــي ملحقــة بالقــاعدتين الســابقتين المتعلقتــين بمشــابهة الكافرين .

ومما يقرر هذه القاعدة ويجلّيها: أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تكلـم؟ قالوا: حجَّت مصمتة . قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية . فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين . قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش . قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنـك لسؤول، أنا أبو بكر[1] .

وقد علَّق ابن تيمية على هذا الأثر فقال: "ومعنى قولـه (مـن عمـل الجاهلية) أي مما انفرد به أهل الجاهلية، ولم يشرع في الإسلام .

فيدخل في هذا: كل ما اتُخذ عبادة مما كان أهل الجاهليـة يتعبـدون به، ولم يشرع الله التعبد به في الإسلام"[2] .

أمـا مـا جـاء بـه الإسـلام فإنــه يُشــرع فعلُـه، ولــو كــان أهــل

(١) أخرجه البخاري: ١٤٧/٧ برقم ٣٨٣٤ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٢٧/١ .

الجاهلية يفعلونه، فيُؤتى به من جهة كونه مشروعا، ويفعل على الوجه المشروع .

مثال ذلك: "السعي بين الصفا والمروة، وغيره من شعائر الحج؛ فإن ذلك من شعائر الله وإن كان أهل الجاهلية قد كانوا يفعلون ذلك في الجملة"[1] .

* * *

---

(١) المصدر السابق: ١/٣٢٧-٣٢٨ .

١) عرضٌ مجمل لقواعد معرفة البدع

١. كل عبادة تستند إلى حديث مكذوب على رسول الله ﷺ فهي بدعة .

٢. كل عبادة تستند إلى الرأي المجرد والهوى فهي بدعة؛ كقول بعض العلماء أو العُبَّاد أو عادات بعض البلاد أو بعض الحكايات والمنامات .

٣. إذا تَرَكَ الرسول ﷺ فعل عبادة من العبادات مع كون موجبها وسببها المقتضي لها قائما ثابتا، والمانع منها منتفيا؛ فإن فعلها بدعة .

٤. كل عبادة من العبادات ترك فعلها السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم أو نقلها أو تدوينها في كتبهم أو التعرض لها في مجالسهم فإنها تكون بدعة بشرط أن يكون المقتضي لفعل هذه العبادة قائما والمانع منه منتفياً .

٥. كل عبادة مخالفة لقواعد هذه الشريعة ومقاصدها فهي بدعة .

٦. كل تقرب إلى الله بفعل شيء من العادات أو المعاملات من وجه لم يعتبره الشارع فهو بدعة .

٧. كل تقرب إلى الله بفعل ما نهى عنه سبحانه فهو بدعة .

٨. كل عبادة وردت في الشرع على صفة مقيَّدة، فتغيير هذه الصفة بدعة .

٩. كل عبادة مطلقة ثبتت في الشرع بدليل عام؛ فإن تقييد إطلاق هذه العبادة بزمان أو مكان معين أو نحوهما بحيث يوهم هذا التقييد أنه مقصود شرعا من غير أن يدل الدليل العام على هذا التقييد فهو بدعة .

١٠. الغلو في العبادة بالزيادة فيها على القدر المشروع والتشدد والتنطع في الإتيان بها بدعة .

١١. كل ما كان من الاعتقادات والآراء والعلوم معارضا لنصوص الكتاب والسنة، أومخالفا لإجماع سلف الأمة فهو بدعة .

١٢. ما لم يرد في الكتاب والسنة و لم يؤثر عن الصحابة ﷺ والتابعين من الاعتقادات فهو بدعة .

١٣. الخصومة والجدال والمراء في الدين بدعة .

١٤. إلزام الناس بفعل شيء من العادات والمعاملات، وجعْل ذلك كالشرع الذي لا يُخالف، والدين الذي لا يُعارض بدعة .

١٥. الخروج على الأوضاع الدينية الثابتة، وتغيير الحدود الشرعية المقدَّرة بدعة .

١٦. مشابهة الكافرين فيما كان من خصائصهم من عبادة أو عادة أو كليهما بدعة .

١٧. مشابهة الكافرين فيما أحدثوه مما ليس في دينهم من العبادات أو العادات أو كليهما بدعة .

١٨.الإتيان بشيء من أعمال الجاهلية، التي لم تشرع في الإسلام بدعة .

١٩.إذا فُعل ما هو مطلوب شرعا على وجه يُوهم خلاف ما هو عليه في الحقيقة فهو ملحق بالبدعة .

٢٠.إذا فُعل ما هو جائز شرعا على وجه يُعتقد فيه أنه مطلوب شرعا فهو ملحق بالبدعة .

٢١.إذا عَمل بالمعصية العلماءُ الذين يُقتدى بهم على وجه الخصوص وظهرت من جهتهم حتى أن المنكر عليهم لا يُلتفت إليه، بحيث يعتقد العامة أن هذه المعصية من الدين فهذا ملحق بالبدعة .

٢٢.إذا عَمل بالمعصية العوامُّ وشاعت فيهم وظهرت، ولم ينكرها العلماءُ الذين يُقتدى بهم وهم قادرون على الإنكار، بحيث يعتقد العامةُ أن هذه المعصية مما لا بأس به فهذا ملحق بالبدعة .

٢٣.كل مايترتب على فعل البدع المحدثة في الدين من الإتيان ببعض الأمور التعبدية أو العادية فهو ملحق بالبدعة؛ لأن ما انبنى على المحدث محدث .

* * *

٢) مجالات البدعة

بتأمل قواعد معرفة البدع وتدقيق النظر فيها يظهر جلياً أن الابتداع يدخل في أقسام متعددة، وإليك فيما يأتي بيان هذه الأقسام وما يندرج من هذه القواعد تحت كل قسم:

١.الاعتقادات .

(القاعدة رقم ١١، ١٢، ١٣)

٢.العبادات والقربات .

(القاعدة من رقم ١ إلى ١٠، ١٩)

٣.العادات والمعاملات .

(القاعدة رقم ٦، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢٣)

٤.المعاصي والمنهيات .

(القاعدة رقم ٧، ٢١، ٢٢)، وانظر أيضاً:

٥.مشابهة الكافرين .

(القاعدة رقم ١٦، ١٧ ١٨)

هذا آخر مايسَّر الله بيانه، وصلى الله وسلَّم على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قلبه إلى محبة غيرك وإيثاره عليك، هل يكون ذكرهما واحدا؟ أم هل يكون ولداك اللذان هما بهذه المثابة او عبداك، او زوجتاك، عندك سواء؟

وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال على أن جعل ينوء بصدره ويعالج سكرات الموت. فهذا أمر آخر، وإيمان آخر ولا جرم أن ألحق بالقرية الصالحة وجعل من أهلها.

وقريب من هذا: ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش يأكل الثرى فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر، وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف، وحملها خفها بفيها وهو ملآن، حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب، من غير أن ترجو منه جزاء أو شكورا فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء، فغفر لها.

فهكذا الأعمال والعمال عند الله، والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيمياوي، الذي إذا وضع منه مثقال ذرة على قناطير من نحاس الأعمال قلبها ذهبا والله المستعان).[1]

وقد فصل شيخ الإسلام معنى الإقرار والشهادتين واستلزام ذلك العمل والانقياد بكلام نفيس سنورده او بعضه- في مبحث التولي عن الطاعة بإذن الله- من الباب الخامس.[2]

أهمية عمل القلب..

القلب هو موضع الإيمان الأصلي، وإيمانه أهم أجزاء الإيمان، ومن هنا كان قوله وعمله هو أصل الإيمان ولا خلاف بين عقلاء بني آدم في إن كل حركة بالجارحة لا تكون إلا بإرادة قلبية وإلا فهي من تصرفات المجانين أو حركات المضطرين فاقدي الإرادة -.

---

[1] مدارج السالكين .

[2] وذلك في الصارم المسلول ، ص٥١٨-٥٢٢

فالقلب كما سبق في فصل حقيقة النفس الإنسانية ليس ملك الأعضاء فحسب، بل هو اعظم من ذلك إذ هو مصدر توجيهها ومنبع علمها وأساس خيرها او شرها فإذا كانت إرادته إيمانية كانت الأفعال العضوية إيمانا وإذا كانت إرادته إرادة كفر او نفاق او عصيان كانت تلك مثلها.

والنصوص في ذلك كثيرة، منها:

١. يقول الله تعالى في حق من حققوا الولاء والبراء: **(أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)**.[١]

٢. ويقول: **(ولكن الله حبب إليكم الإ يمان وزينه في قلوبكم)**. [٢]

٣. ويقول في حق الأعراب: **(ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)**.[٣]

٤. ويقول: **(وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم)**.[٤]

وغير ذلك كالآيات الدالة على الطبع والختم على قلوب الكافرين او كونها في اكنة او مغلفة ونحوها.

وكل آية ورد فيها قوله: (بذات الصدور).[٥]

ومن السنة يقول النبي ﷺ : (التقوى هاهنا) وأشار إلى صدره ثلاث مرات.[٦]

ويقول: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).

ويقول كما روى الإمام احمد في المسند: (الإسلام علانية، والإيمان في القلب) وأشار إلى صدره ثلاث مرات قائلا: (التقوى هاهنا، التقوى هاهنا)[٧] ويقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).[٨]

---

(١) المجادلة : ٢٢.
(٢) الحجرات : ٧.
(٣) الحجرات : ٧.
(٤) آل عمران : ١٥٤.
(٥) وهي كثيرة، وتدل على ارتباط أعمال القلب بأعمال الجوارح لأنها كثيرا ما ترد في أعمال الجوارح .
(٦) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤)
(٧) (١٣٥/٣)، وهو حديث حسن .
(٨) المسند، عن انس (١١٢/٣،٢٥٧)، وهو صحيح .

فهذه النصوص تدل على ان القلب هو الأصل، وان إيمانه هو جزء الإيمان الأساس الذي يقوم عليه الجزء الظاهر ويتفرع منه، ويرتبط به ارتباط العلة بالمعلول، بل ارتباط أجزاء الحقيقة الواحدة الجامعة، ومن هنا لم يسم المنافق مؤمنا قط وان كثر عمل جوارحه بالجهاد والصلاة.

بل المؤمن المجاهد إذا نوى بجهاده طلب الدنيا أو الرياء حبط عمله وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذابا، وهذا مما يدل على أهمية عمل القلب، وقد سبق تفصيل لذلك في فصل حقيقة النفس الإنسانية.

ومن العجيب أن المرجئة استدلت ببعض الأدلة السابقة على ان الإيمان هو مجرد التصديق القلبي، وان أعمال الجوارح بل بقية أعمال القلب- ليست من الإيمان، فها هو ذا الايجي في (المواقف) يذكر مذهب أصحابه الاشاعرة، وهو ان التصديق، ومذهب الماتريدية، وهو ان التصديق مع الكلمتين، ويذكر (مذهب السلف وأصحاب الأثر: انه مجموع هذه الثلاثة، فهو التصديق بالجنان،وإقرار باللسان، وعمل بالأركان).

ثم يقول في الانتصار لمذهبه: (لنا وجوه[1]:

الأول: الآيات الدالة على محلية القلب للإيمان نحو: **(أولئك كتب في قلوبهم الإيمان)**، **(ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)**، **(وقلبه مطمئن بالإيمان)**، ومنه الآيات الدالة على الختم على القلوب ويؤيده دعاء النبي ﷺ: (اللهم ثبت قلبي على دينك) وقوله لأسامة وقد قتل من قال: لا اله إلا الله (هلا شققت عن قلبه!).[2]

والرد عليهم واضح فان النصوص الدالة على الجزء الباطن من الإيمان لا تنفي وجود الجزء الظاهر لا سيما ولهذا الجزء نصوص مماثلة وغاية ما فيها بيان أن إيمان القلب هو الأصل والأساس لإيمان الجوارح كما تقدم.

---

[1] انظر الى تصريحه بمذهب السلف وأصحاب الاثر ثم تصريحه بمخالفة أصحابه، ومع هذا يزعم معاصروهم انهم اهل السنة والجماعة او منهم !!!

[2] ص٣٨٥، ثم ذكر وجهين اخرين الرد عليهما واضح، وسيأتي في بابه .

ثانيا: ومن جهة ثانية هذه النصوص لا تدل على التصديق، بل على أمر زائد عنه، فما كتبه الله في قلوب المعادين لأعدائه وما زينه في قلوب المؤمنين وما نفى دخوله في قلوب الأعراب..، وهكذا ليس هو التصديق المجرد كما يحسبون وإنما هو أعمال قلبية كالمحبة والرضا واليقين ونحوها.

ثالثا: ومن جهة ثالثة يرد عليهم بان من تأمل هذه النصوص التي أوردها صاحب المواقف يجد أنها تدل على إيمان الجوارح بنوع من أنواع الدلالة، وان الإيمان المذكور في بعضها ليس هو الإيمان العام المقابل لكلمة (الكفر) والمرادف لكلمة (الدين) بل هو الإيمان الخاص المقابل لكلمة (الإسلام) إذا اجتمعا، أي على النحو الذي دل عليه الحديث السابق (الإسلام علانية والإيمان في القلب) ولا مجال للبسط اكثر من هذا.

ومن أفسد الأصول التي بناها المرجئة على هذا الاعتقاد أي انحصار الإيمان في التصديق القلبي وحده أنهم حصروا الكفر في التكذيب القلبي أيضا حتى انهم لم يعتبروا الأعمال الكفرية الصريحة كالسجود للصنم وإهانة المصحف، وسب الرسول ﷺ إلا دلالات على انتفاء التصديق القلبي، وليست مكفرة بذاتها[1] .

وكان لهذه العقيدة آثار عميقة المدى على الأمة، بل هي في عصرنا هذا أساس للضلال والتخبط الواقع في مسألة التكفير، ومنها نشأ التوسع في استخدام (شرط الاستحلال) حتى اشترطوه في أعمال الكفر الصريحة كإهانة المصحف، وسب الرسول ﷺ وإلغاء شريعة الله، فقالوا : لا يكفر فاعلها إلا إذا كان مستحلا بقلبه !! واشترط بعضهم مساءلة المرتد قبل الحكم عليه، فان أقر انه يعتقد أن فعله كفر، وان قال :انه مصدق بقلبه ويعتقد أن الإسلام افضل مما هو عليه من الردة لم يكفروه[2] !!

---

[1] وهذا من الاصول الثابتة في مذهب الاشاعرة قديما وحديثا، انظر مثلا : المواقف، ص٣٨٨،وبراءة الأشعريين (١٤٩/١) ومن اعظم الرد عليهم ان الأشعري نفسه في المقالات(١٣٢/١،١٣٣،١٤١) ذكر هذه الاقوال نفسها عن فرق المرجئة، كالجهمية والصالحية والمريسية وهذا يدل على صحة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مرارا، وما استنتجناه من بحثنا هذا وهو ان الاشاعرة على مذهب جهم والصالحي وان غيروا قليلا" .

[2] وغرضهم هو التثبت في اطلاق الكفر بزعمهم- وهذا الى أفعال الحمقى اقرب منه الى أفعال المتثبتين،والا فهل يذهب عاقل الى طاغوت محارب للشريعة او الى زعيم حزب شيوعي فيسأله هل يعتقد ان الإسلام افضل؟؟!!

وهذه جزء من قضايا كبرى لا يسعنا تفصيل الحديث عنها هنا، والغرض هنا التنبيه على إن أصلها العميق هو عدم أدراك العلاقة بين عمل القلب وعمل الجوارح.

إثبات عمل القلب..

لما كان إيمان القلب من الأهمية بالدرجة التي عرضنا طرفا منها كان لا بد أن يكون حظ الحديث عنه من الذكر الحكيم الذي أنزله الله لإصلاح حياة العالمين وتزكيتها هو الحظ الأوفر، وهكذا جاء في القران آيات كثيرة تبين أعمال القلب وأهميتها في الإيمان أصلا أو وجوبا أو كمالا ولو ذهبنا في جمعها واستقصائها لطال المقام جدا.

وحسبنا ان نورد هنا ما يتجلى به صحة مذهب أهل السنة الجماعة وشذوذ المرجئة المنكرين لدخول أعمال القلب في الإيمان عدا التصديق القلبي ويتضح ان مصدر القوم في التلقي لم يكن الكتاب والسنة، وإلا فكيف يضربون صفحا عن هذه الآيات المحكمات، ويعتمدون اكثر ما يعتمدون- على آية واحدة ليست في مورد الإيمان الشرعي، بل حكاها الله تعالى عن قوم قالوها في التصديق الخبري المجرد، وهو قوله تعالى على لسان اخوة يوسف: **(وما أنت بمؤمن لنا)**!!.

وهذه بعض أعمال القلب مقرونة بما يدل عليها من الآيات، منها ما هو في حق المؤمنين ومنها ما هو في حق الكفار دالا على أمور سوى التكذيب الذي لم يقر المرجئة بغيره- ونظرا لكثرتها اكتفيت بما ورد فيها العمل مسندا الى القلب او المصدر- بالمنطوق الصريح:

١. الوجل: **(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)**.[١]

٢. الاخبات: **(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين ءامنوا إلى صراط مستقيم)**.[٢]

---

[١] الانفال : ٢.

[٢] الحج : ٥٤.

٣. السلامة من الشرك دقيقه وجليله: **(يوم لا ينفع مال ولا بنون ۞ إلا من أتى الله بقلب سليم)**.[١]

وقال في امام الموحدين: **(إذ جاء ربه بقلب سليم)**.[٢]

٤. الانابة: **(من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب)**.[٣]

٥. الطمأنينة: **(ولكن ليطمئن قلبي)**[٤]، **(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)**.[٥]

واشترطها في المكره **(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)**.[٦] فكيف بغيره .

٦. التقوى: **(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)**[٧]، **(أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)**.[٨]

٧. الانشراح: **(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)**.[٩]، **(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)**.[١٠]

٨. السكينة: **(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)**.[١١]

٩. اللين: **(ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)**[١٢]، وقد اسنده للقلب والجوارح.

١٠. الخشوع: **(ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)**.[١٣]

١١. الطهارة: **(ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)**[١٤]، وهي في آية الحجاب، فدلت على التلازم بين عمل القلب وعمل الجوارح .

١٢. الهداية: **(ومن يؤمن بالله يهد قلبه)**[١٥]، وهذا مما يدل على تلازم أعمال القلب

---

[١] الشعراء : ٨٨-٨٩.
[٢] الصافات : ٨٤.
[٣] ق : ٣٣.
[٤] البقرة : ٢٦٠.
[٥] الرعد : ٢٨.
[٦] النحل : ١٠٦.
[٧] الحج : ٣٢.
[٨] الحجرات : ٣.
[٩] الأنعام : ١٢٥.
[١٠] الزمر : ٢٢.
[١١] الفتح : ٤.
[١٢] الزمر : ٢٣.
[١٣] الحديد : ١٦.
[١٤] الاحزاب : ٥٣.
[١٥] التغابن : ١١.

١٣. العقل: **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها)**.[١]

١٤. التدبر: **(أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب أقفالها)**.[٢]

١٥. الفقه: **(لهم قلوب لا يفقهون بها)**.[٣]

١٦. الإيمان: **(من الذين قالوا ءامنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)**.[٤]

وفي الإيمان الخاص: **(قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)**[٥]، ولهذا كان فيهم الصنف الذي سماه الله **(والمؤلفة قلوبهم)**.[٦]

١٧. السلامة من الغل للمؤمنين: **(ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا)**.[٧]

١٨. الرضا والتسليم: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)**[٨]، ويلاحظ ان الإسناد فيها للنفس لا للقلب او الصدر، لحكمه دقيقة هي ان النفس مكمن الهوى والاعتراض.

ومما ورد مسندا الى القلب غير المؤمن:

١. الإنكار: **(إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)**.[٩]

٢. الكبر: **(إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه)**[١٠]، **(كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)**.[١١]

---

[١] الحج :٤٦.
[٢] محمد : ٢٤.
[٣] الاعراف : ١٧٩.
[٤] المائدة : ٤١.
[٥] الحجرات : ١٤.
[٦] التوبة : ٦٠.
[٧] الحشر : ١٠.
[٨] النساء : ٦٥.
[٩] النحل : ٢٢.
[١٠] غافر : ٥٦.
[١١] غافر : ٣٥.

٣. الإعراض واللهو: **(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم).**[١]

٤. الاشمئزاز: **(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة).**[٢]

٥. الزيغ: **(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)**[٣]، **(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه).**[٤]

٦. العمى: **(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).**[٥]

٧. القفل، وعدم الفقه، وعدم العقل: وقد تقدم ما يدل عليها.

٨. المرض: **(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا).**[٦]

٩. القسوة: **(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).**[٧]

١٠.الغمرة: **(بل قلوبهم في غمرة من هذا).**[٨]

١١.الران: **(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).**[٩]

١٢.العداوة للحق وأهله: **(قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر).**[١٠]

والآيات في ذلك وعلاقته بأعمال الجوارح كثيرة ايضا، واكثر مما ذكرنا الآيات الواردة في أعمال القلوب، لكن لم يذكر فيها لفظه، كآيات الخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والرضا وغيرها.

وإنما المقصود إثبات هذا الجزء العظيم من الإيمان الذي أهمله أكثر المسلمين وليس المرجئة خاصة،وقد حصل المقصود ان شاء الله، وسنخص بالتفصيل بعض هذه الأعمال في المبحث التالي.

---

[١] الانبياء : ٢-٣.
[٢] الزمر : ٤٥.
[٣] الصف : ٥.
[٤] آل عمران : ٧.
[٥] الحج : ٤٦.
[٦] البقرة : ١٠.
[٧] البقرة : ٧٤.
[٨] المؤمنون : ٦٣.
[٩] المطففين : ١٤.
[١٠] آل عمران : ١١٨.